مغامرات الإخوة الأربعة

قلعة المغامرات

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مغامرات الإخوة الأربعة

٢

قلعة المغامرات

بقلم

محمد أحمد برانق

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة المطبوعات الحديثة

عوالم روايات الجيب

الساحرة

مقدمة

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة المغامرات التي يشترك فى حوادثها المثيرة الشخصيات اللطيفةُ: أسامةُ، وإلهام، وطريف"، والببغاء كيكي، وأنسام.

ما هو تاريخ القلعة القديمة التي فوق التل؟!

ومن الذي يذهب إليها؟!

ومَن الذي يُرسل الإشارات فى الليل من فوق البرج؟!

وتشترك نوارةُ البنتُ العَجَرِيَّةُ، وفَهد الثعلب الصغير، والزوار - الغامضون- في مغامرة مثيرة تجرى حوادثها في غرف وممرات سرية، وخلل ودروع حديدية. وتتابع الحوادث المثيرة لا يجعل أي بنت أو ولد يترك الكتاب قبل أن ينتهى منه.

وقد ظهر من كتب سلسلة المغامرات:

الجزيرة الغامضة. والكتاب الثالث هو: وادى الكهوف.

الفصل الأول

١ - العطلة الصيفية

أسرع أسامة إلى إخوته وقال: لقد استأجَرَتْ والدتنا منزلا صغيراً في إحدى البلدان الريفية بالإقليم الشمالي لكي نقضى فيه العطلة الصيفية

فقال طريف: أحقًا؟! أنقضى المطلة في الإقليم الشمالي؟ هذا جميل!

فقالت إلهام: هيا بنا نسأل والدتنا.

وأسرع الثلاثة ومعهم أنسام إلى والدتهم يسألونها عن المنزل الذي سيقضُون فيه عطلتهم الصيفية فقالت لهم: إنه بيت جميل" في أطراف إحدى القرى الهادئة في الإقليم الشمالي، والآن فليسرع كلاً منكم إلى إعداد حقيبته وحاجاته لأننا سنسافر في صباح غد.

وفي صباح اليوم التالي كان الأبطال الأربعة مع والدتهم على سفر. فلما وصلوا إلى القرية التي يُريدُونها. استقلوا سيارة إلى المنزل وأخذ الأطفالُ يَتَطَلَّعون حولهم وهم يركبون السيارة وينظرون إلى المناظر الريفية الجميلة. وكانت هناك بعض التلال تبدو في أطراف

القرية. وفجأة رأت أنسام قلعةً قديمة فوق أحد التلال، فقالت: انظروا إلى هذه القلعة إنها قديمة جداً كما يبدو من شكلها.

فنظر الجميع نحو القلعة القديمة وكانت تربض في مكانها من أعلى التل ولها بُرجان شامخان ويتخلَّل جدرانها عدد من الفتحات الضيقة المستطيلة كالنوافذ الضيقة، كما كانت هناك نوافذ أخرى متسعةٌ. وقالت والدتهم: اصطفت في هذه القرية منذ سنوات، ورأيت تلك القلعة، وهى قلعة قديمة ولا يسكن فيها أحد الآن، ولا يعرف أحد عنها شيئاً، كما أن أهل القرية لا يذهبون إليها أبداً. ويخشون الاقتراب منها.

فقالت إلهام: لماذا يخشون الاقتراب منها؟! هل كانت تحدث بها أشياء مخيفة؟

فقالت والدتها: أعتقد ذلك. ولكني لا أعرف حقيقة ما كان يحدث. وعلى أية حال لا يحسن بكم أن تذهبوا إلى هناك؛ لأن الطريق الموصل إليها قد أصابه بعض الانهيار وأصبح خطيراً، بل إن ذلك الجزء من القلعة الذي يُطل على هذا الطريق مُهدد بالانهيار أيضاً!

فقالت أنسام: لعله لا ينهار؛ لأنه إذا انهار يسقط على منزلنا.

فضحكت والدتها وقالت: إن منزلنا بعيد عن القلعة. انظروا!!

هذا هو بين تلك الأشجار ونظر الأطفال إلى حيث أشارت أمهم وأعجبهم البيت من النظرة الأولى، فلما وصلوا إليه أسرع الجميع ودخلوا المنزل

ودار الأطفال يتفقدون غرفهم وأخذوا ينظرون من النافذة إلى السهل المنبسط الذي يحيط بالمنزل، ثم أخذوا يتطلعون بِشَغَفٍ إلى القلعة القديمة. وقال أسامة: إن منظر هذه القلعة يَحفَزني إلى الذهاب إليها.

فقالت والدته: لقد أخبرتك أن الطريق إليها قد أصبح خطراً. فلا تذهبوا إلى هناك فإن في ذلك مغامرة كبيرة.

فقال أسامة: إن هذه القلعة توحى بالمغامرات فعلاً. ولكن لا أظن أننا سنرى مغامرة مثل مغامرة الصيف الماضي تلك التي جرت حوادثها تحت الأرض، وتحت قاع البحر.*

فقالت إلهام: كم شعرت بالخوف في بعض اللحظات ونحن هناك في باطن الأرض وتحت سطح البحر.

وقال طريف: لقد كانت مغامرة عجيبة مثيرة، ولكنها كانت مخيفة ونحن مندمجون فى حوادثها:

---

* مغامرة الجزيرة الغامضة، وهى الجزء الأول من هذه المجموعة.

وبدأ الأطفال يخرجون حاجاتهم من حقائبهم، ووقفت الهام تنظر إلى أسامة بحذر وهو يفتح حقيبته.

وقالت: هل جئت ببعض تلك الحشرات؟

فقال أسامة غير مكترث: لا لم أصحب معي سوى قنفذ صغير، ولكن لا تقلقي فليس به براغيث!

فابتعدت إلهام بضع خطوات وقالت: أراهن أنه ملئ بالبراغيث!

فقال أسامة: إنه صغير وقد وضعت عليه بعض المساحيق المطهرة.

ونظر الجميع إلى القنفذ الذي كور نفسه فأصبح كرة من الشوك، وقال أسامة: الشيء المتعب فيه أن أشواكه ستسبب وخزاً شديداً لي كلما حملته.

فقالت إلهام: لعلك تقلع عن هواية جمع الحشرات والقنافذ بعد أن تخطئ وتجلس عليه مرتين أو ثلاثاً!

فقال أسامة: هذا محتمل، ويحسن بك ألا تضايقيني كثيراً وإلا وضعت القنفذ في فراشك !

وقال طريف: كفوا عن هذا الكلام الآن وهيا بنا إلى الخارج لنقوم بجولة حول المنزل ونستكشف المكان الذي سنقضى فيه عطلتنا.

٢ - نوارة

مر اليومان الأولان والأطفال في سعادة غامرة، فكانوا يخرجون ومعهم كيكي للتجول حول المنزل، وكشفت إلهام وأنسام جدولا صغيراً يجرى فى طرف الحديقة، وأخبرتهم والدتهم أن أهل القرية يقولون: إن هذا الجدول ينبع من مكان ما بالقرب من القاعة. وعثر طريف على عدد كبير من الطيور قد اتخذ كل منها عُمَّا فوق بعض الأشجار. ولولا إخوته لقضى الساعات يراقبها ويلاحظ طباعها وأعمالها. وفي ذات يوم تار حماسه عندما رأى نسراً.. وأخبر إخوته

بذلك فقالت إلهام غير مصدقة: نسر!! لقد كنت أعتقد أن النسور قد انقرضت!

فقال طريف: إنك لا تعلمين شيئاً عن الطيور إذا يا أختي!

فسألته إلهام: وهل هو خطير؟؟ هل هو مؤذ؟

فقال طريف: أعتقد أنه قد يهجم عليك إذا اقتربت من عشه كثيراً! يا ترى! أين بنى هذا النسر عشه؟

فقالت إلهام: لقد رأيت عشرات من أعشاش الطيور حتى الآن، وليس هناك داع للبحث عن عش النسر مادام هو يستطيع أن يهجم عليك.

وكان طريف شغوفاً بالبحث عن أعشاش الطيور ومراقبة صغارها وهي مازالت فراخا غير قادرة على الطيران، ولكنه لم يكن يأخذ الصغار أو البيض، وكانت الطيور تأنس إليه. وقد حاول طريف أن يعود كيكي أن تجلس ساكنة على كتفه حتى لا تزعج الطيور، ولكنها لم تكن تستطيع أن تكبح جماح نفسها إذا رأت بعض الغربان، فلم تكن تحبها، وكانت تسارع إلى توجيه بعض الكلمات القارصة إليها.

وذات مرة أخذت كيكي تقلد نعيق الغراب، فصاح طريف بها: كفى عن هذا، ويحسن بك أن تستمعي إلى بلبل وتقلدي تغريد. بدلا من هذا الصوت المزعج.

فسكتت كيكي، ثم صاحت كأنما تحتج على هذه المعاملة: أين منديلك؟! أين منديلك؟ وأخرج طريف منديله وأعطى كيكي إياه، فقبضت عليه بإحدى رجليها، وأخذت تقربه من منقارها وهى تحدث أصواتا كأنما هي تعطس. فضج الأطفال بالضحك.

وقال طريف: لقد تعلمت هذه الحركة قريباً.

وقال أسامة وهم يسيرون ذات مرة فى الأراضي الواسعة المحيطة بالمنزل: يبدو أننا لن نقابل مغامرة من أي نوع في هذا المكان الهادئ." فليس حولنا منازل. وفيما عدا تلك العزبة البعيدة ليس هناك سوى البلدة التي تبعد عنا نحو ثلاثة كيلو مترات أو أربعة.

فقالت أنسام: إن أهل البلدة والعزبة خافوا عندما سمعوا كيكي تتكلم.

فتذكر طريف مغامرة الصيف الماضي وقال: هل تذكرون كيف سجنت فى كهف تحت الأرض، وظن الرجال أنها أنا عندما سمعوها تكلم نفسها؟! حقاً لقد كانت مغامرة مثيرة.

فقال أسامة: كم أتمنى أن نعثر على مغامرة أخرى مثلها!

فقالت إلهام: بودى أن نذهب لاستكشاف هذه القلعة القديمة فإن منظرها غريب، وقد قالت والدتنا إن أشياء غريبة كانت تحدث فيها!

فقال طريف: فلنحاول ذلك. وأعتقد أن بعض الناس كانوا يقتلون هناك

فقالت أنسام على الفور: يا للفظاعة! إننا لن نذهب إلى هناك.

فقالت إلهام: إن رأى والدتنا ألا نذهب إلى هناك على أي حال.

فقال طريف: إننا نستطيع أن نبحث عن عش النسر على قمة التل، فإذا اقتربنا من القلعة فى أثناء بحثنا فليس باليد حيلة.

فقال أسامة: بل يجب أن نخبر والدتنا!

وفي ذلك المساء قال أسامة لوالدته: هل تسمحين لنا بالذهاب للبحث عن عش النسر الذي رآه طريف؟

فقالت والدته: وهل سيقودكم البحث إلى القلعة؟

فقال أسامة: هذا محتمل، ولكننا سنحرص على تجنب الأماكن الخطيرة.

فقالت والدته: لقد انهار جزء من الطريق الصاعد إلى القلعة، وسيكون من الخطر أن تتجولوا هناك.

فوعدها أسامة ألا يعرضوا أنفسهم للأخطار. ثم أسرع إلى إخوته يخبرهم أن والدتهم لا ترفض فكرة البحث عن عش النسر. فقال طريف: إذا فلنذهب غداً للبحث عنه.

وبينما كان الأطفال يتجولون في أصيل اليوم التالي همس أسامة لطريف: يخيل إلى أن أحداً يتبعنا!! فقد سمعت صوت غصن جاف يتحطم خلفنا كأنما وطئه أحد. فعندما نصل إلى تلك الشجيرات سأختبئ أنا خلفها وأنتم تواصلون السير حتى أرى.. هل يتبعنا أحد؟ وأخبر طريف إلهام وأنسام بذلك، حتى إذا وصلوا إلى الشجيرات النامية ألقى أسامة بنفسه خلفها فجأة، واختفى وواصل الباقون سيرهم وهم يتكلمون بصوت عال، وظل أسامة رابضاً في مكانه دون أن يحدث صوتاً، ولم تمض سوى لحظات حتى سمع حفيفاً، ومر شخص من جانبه دون أن يراه، وهو يحاذر أن يسمعه الأطفال. وحملق أسامة فيمن يتبعهم، ولم يتمالك أن صاح دهشا: ها!! فماذا رأى؟؟

رأى أمامه بنتاً صغيرة رثة الثياب، حافية القدمين . . . ووثبت البنت فزعة، ولكن أسامة لم يمهلها، بل انقض عليها وأمسك رسغيها بقوة، فأخذت البنت تحاول الإفلات من قبضته، ولكنها لم تستطع.

وقال لها أسامة: لن أتركك حتى أعرف اسمك ولماذا تتبعيننا؟ ولكن البنت لم تتكلم، بل أخذت تحملق فيه بعينيها السوداوين. وكان طريف وأختاه قد حضروا مسرعين عندما سمعوا صوت أسامة يقول لهم: هذه هي الشخص الذي كان يتبعنا، ولكنها لا تريد أن تتكلم.

وقالت إلهام: إنها فتاة من الفجر!

ونظرت إليها البنت نظرة غاضبة ثم نظرت إلى كيكي ولم تحول عينيها عنها. وقال أسامة: يبدو أنها كانت تتبعنا لكى ترى كيكي!! هل هذا صحيح أيتها الغجرية؟

فقالت البنت: نعم..

فأسرعت كيكي تقلدها: نعم! نعم! نعم!

فنظرت البنت إليها في دهشة ثم ضحكت. وترك أسامة يديها وسألها: ما اسمك؟

فقالت البنت: نوارة ... وقد رأيت هذا الطائر معكم فأردت أن أراه عن قرب، ولم أكن أقصد شراً. إنني أسكن في الجهة الأخرى من التل مع أمي. وأنا أعرفكم جميعاً وأعرف أمكم وأعرف أين تسكنون...

فقال أسامة: إذاً فقد كنت تراقبيننا من مدة غير قصيرة؟

وقالت لها كيكي فى وقار: ضعي البراد على النار!! افتحي كتابك صفحة ٦٠

وقال طريف: إنني جوعان وقد حان وقت عودتنا إلى المنزل. هل تستطيعين يا نوارة أن ترشدينا إلى طريق قصير يختصر المسافة إلى منزلنا؟

ولدهشة الجميع استدارت نوارة تهبط في التل بسرعة وقدم ثابتة

وأخذت البنت تحاول الإفلات من قبضة أسامة ولكنها لم تستطع ...

كأنها العنز، وتبعها الأولاد وسرعان ما وجدوا أنفسهم أمام بيتهم.
وقال لها أسامة: شكراً يا نوارة.

فابتسمت نوارة وأسرعت نحو بيتها وهى تقول: سأراكم قريباً مرة أخرى.

٣- فهـــــد

عندما قام الأطفال باستكشاف التل الذي تربض فوقه القلعة تبين لهم أنه يكاد يكون مهجوراً، فلم يكن هناك سوى منزلهم والكوخ الذي تعيش فيه نوارة مع أمها والعزبة التي يشترون منها البيض والزبد، ولكن كانت هناك مئات من الطيور والحيوانات تعيش بين الأشجار التي تنمو على التل، وكانت هناك أيضاً أعداد هائلة من الأرانب البرية تطل برؤوسها من جحورها وتسرع إلى الاختفاء عندما ترى الأطفال، كما كانت هناك بعض الثعالب ذاتُ الذيول المنفوشة. وقال أسامة ذات مرة: كم أود أن يكون لي ثعلب صغير!! وأن يكون جميلا جداً!...

وسمعته نوارة وهو يقول ذلك، فقد اعتادت أن تصحبهم في جولاتهم. وكان الأطفال فرحين بها، لأنها كانت تعرف الطريق إلى المنزل دائما وسط الأشجار الكثيفة، وبذلك أمن الأطفال ألا يضلوا

طريقهم فوق التل. وكانت نوارة معجبة جداً بالببغاء كيكي كما كانت معجبة أيضاً بالملابس الجميلة التي ترتديها إلهام وأنسام. وكثيراً ما أمسكت بقماشها تتحسّسته، وهى لم تكن ترتدى غير بعض الثياب الرثة القذرة. وقالت أنسام وإلهام: يبدو أن نوارة لا تستحم مطلقاً!

فقالت إلهام: وأعتقد أنها ما رأت حماماً إلى اليوم!

وعندما سألتها إلهام تبين أنها لا تعرف شيئاً اسمه الحمام!!

وصحبتها الفتاتان إلى منزلهما وأخذتاها إلى الحمام لتراه، فأخذت تنظر إليه في دهشة، ونظرت والدتهما إلى نوارة في دهشة وقالت لأنسام في صوت خفيض: مَنْ هذه البنت الصغيرة القذرة؟؟ يحسن بها أن تستحم!

وكانت أنسام تتوقع أن تقول والدتها ذلك، فالأمهات يفكرن دائماً في وجوب نظافة الأطفال. ولما شرحت أنسام وإلهام لأمهما أمر نوارة ظهر عليها الجزع، ولكنها قالت: إذا لم تمانعي في الاستحمام فسأعطيك هذا الثوب الأزرق الجميل، وشريطاً زاهياً تربطين به شعرك.

ونظرت نوارة إلى الثوب الأزرق الذي كان لإلهام فيما مضى ثم وافقت على الاستحمام. وذهب الأطفال إلى الحديقة وأخذت والدتهم نوارة إلى الحمام، وسرعان ما وصل إلى سمع الأطفال الجالسين

في الحديقة صوت صياح وصراخ صادر من الحمام، فأخذوا يعجبون لذلك؛ إذ لم يكونوا يتصورون أن هناك من يكره الماء والصابون!!

ولم ينقض أكثر من نصف ساعة حتى خرجت إليهم نوارة، وقد بدت مختلفة كل الاختلاف عما كانت عليه!! فقد كانت ترتدى الثوب الأزرق النظيف، وتربط شعرها بشريط أزرق أيضاً، وقد بدا وجهها وذراعاها نظيفين، وكانت ترتدى في قدميها زوجاً قديماً من الأحذية المطاط. وقالت لها إلهام: إنك تبدين رائعة!

فابتسمت نوارة مسرورة وقالت: إن رائحة الصابون جميلة ولكن الاستحمام فظيع! كم مرة تستحمون؟؟ مرة كل سنة!...

فضحك الأطفال من سذاجتها، فقد كانت نوارة تجهل أشياء كثيرة ولا تعرف القراءة ولا الكتابة، ولكنها كانت تستطيع أن تعرف آثار الحيوانات على التل كما يعرفها الهنود الحمر. وكانت معجبة بأسامة جداً، وتتبعه أينما ذهب. وكذلك كانت تحب كيكي، وكانت تفضلها على باقي الجماعة!

وفى اليوم التالي جاءت نوارة إلى المنزل، ورآها الأطفال من النافذة. وقالت أنسام: لقد أقبلت نوارة، ولكن.. ما هذا الذي تحمله في ذراعيها؟ وما هذا الذي تضعه حول رقبتها؟ فضحك أسامة

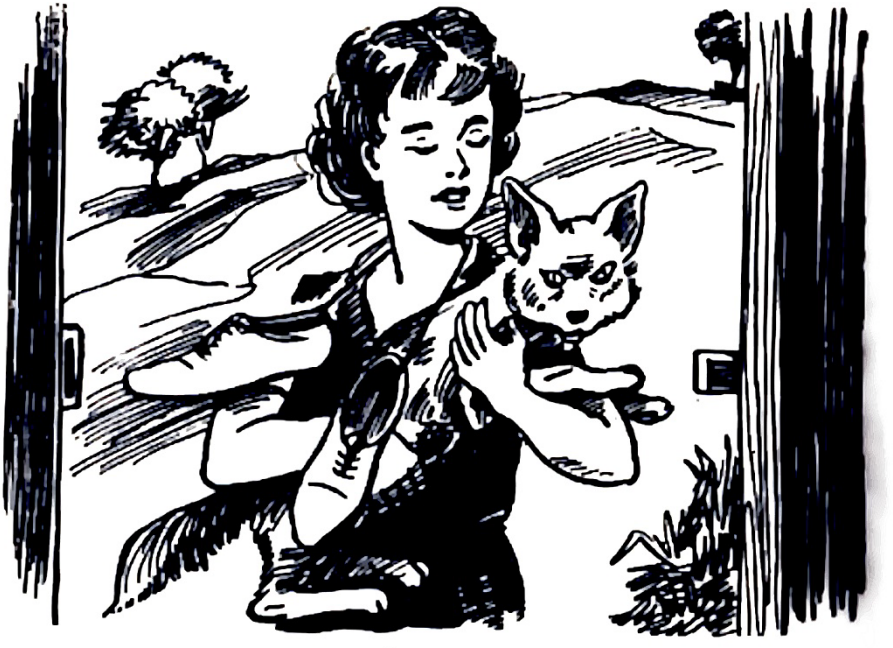

وقال: إنه حذاؤها!! فهي لم تتعود لبس الحذاء، ولكنها لا تطيق فراقه فربطتْهُ حَوْلَ عنقها. وظهرت نوارة عند باب المطبخ الخلفي وهى تبتسم وصاح أسامة: إنه ثعلب صغير! كم هو جميل!!! أين عثرت عليه؟

فقالت نوارة: لقد أحضرته من جُحْرِه.

أخذ أسامة الثعلب الصغير بين يديه. وأخذ ينظر إلى خطمه المدبب، وذيله المنفوش، وفرائه الناعم الجميل. ولم تمض لحظات حتى استطاع أسامة أن يجعل الثعلب يأنس إليه. فأخذ يتمسح به ويلعق يديه كأنما يُعبر عن حبه. وقالت والدته: إن لأسامة طرقاً غريبة مع

الحيوانات.. ولكنك يا أسامة ستحتاج إلى قفص لكي تضع فيه هذا الثعلب.

فقال أسامة: قفص!!! لا. إنني سأدربه حتى يتبعني دائماً كأنه كلب أليف!

فقالت أمه: إن الثعلب حيوان بري لا يسهل استئناسه.

ولكن لم تمض ساعتان حتى كان الثعلب الصغير يتبع أ أسامة كظله في كل مكان، ويتواثب حول ساقيه كأنما يطلب منه أن يحمله بين ذراعيه. وازداد حب أسامة لنوارة، بعد أن أحضرت له الثعلب، كما كانت هي الأخرى لا تكاد تفترقُ عنه. وقالت إلهام: إنها تتبعه كالكلب الأمين!! تصوروا أن هناك من لا تريد الابتعاد عن أسامة!

وكانت إلهام تقول ذلك لأن أسامة في ذلك الوقت كان يملك إلى جانب قنفذه الصغير أربع خنافس يدربها على إطاعة أوامره. ولكنها كانت تسير فى كل اتجاه مقتربة من إلهام في بعض الأحيان، وكان ذلك يخيف إلهام جداً. وكانت كيكي تحب نوارة كثيراً، وكانت تطير أحياناً لتقف على كتفها فتشعر نوارة بالسعادة لذلك، ولكن كيكي لم تكن تحب الثعلب، ولا تكاد تراه حتى تبدأ فى لومه وتعنيفه. وقال أسامة: يبدو أن كيكي تغار من فهد، وهو الاسم الذي أطلقه على الثعلب الصغير.

وصاحت كيكي تعنف فهداً: امسح قدميك! أقفل الباب! ضع البراد على النار !!، وضج الأطفال بالضحك لهذا الخطأ الذي وقعت فيه كيكي، فنظرت إليهم وقالت بهدوء: افتح كتابك صفحة ٦!

فضحك الأطفال مرة أخرى وقال طريف لكيكي: كفى عن هذا الكلام فإنك تذكرينني بالمدرسة والاستذكار.

ثم نظر إلى إخوته وقال: لقد رأيت ذلك النسر مرة أخرى اليوم وكان يحلّق فوق قمة التل وقد فرد جناحيه الهائلين. إني متأكد أن له عشاً في مكان ما فوق التل...

فقالت إلهام: فلنذهب لنبحث عنه حتى نجده، كما أني أتحرقُ شوقاً لرؤية هذه القلعة القديمة، وإذا كنا لا نستطيع أن نصل إليها بسبب ذلك الطريق المنهار فإنه يمكننا الاقتراب منها إلى أقصى ما نستطيع، ونلقى عليها نظرة عن قرب.

فقالت أنسام: نعم. فلنقم برحلة قصيرة إلى هناك ولنأخذ معنا بعض الطعام، وتستطيع أنت أن تبحث عن عش النسر حينما نلقى نظرة على هذه القلعة من أقرب نقطة نستطيع الوصول إليها فإن منظرها يوحي بالغموض!! وهي تشرف على الوادي من مكانها المرتفع، وأعتقد أنها تخفي سراً كبيراً في داخلها.

فقال أسامة: إن القلعة خالية كما نعلم ولا يحتمل أن يكون في داخلها شي سوى الخفافيش والفئران والعناكب. وليس فيها شيء غير هذا.

فقالت إلهام على الفور: إذاً فلن أدخلها، وانى أفضل أن أبحث عن عش النسر من أن أجد نفسى وسط الخفافيش والفئران والعناكب في هذه القلعة!

٤ - الطريق إلى القلعة

قال أسامة لوالدته: سنذهب اليوم إلى التل لنبحث عن عش النسر الذي رآه طريف، ولن نصعد فى الطريق المنهار المؤدى إلى القلعة، فلا تقلقي علينا!

فقالت والدته: خذوا بعض الطعام والشراب فقد يطول بكم الوقتُ وتجوعون. وأعدت لهم بمساعدة إلهام بعض الشعائر والحلوى ووضعتها في حقيبة صغيرة، ووضعت معها كذلك شيئاً من الفاكهة. ثم حمل أسامة الحقيبة، وأطلق صغيراً خافتاً، فأقبل فهد إليه بسرعة كأنما هو كلب مدرب. وكان فهد ثعلبا ظريفاً تُحبه الأسرة كلها، ولكن والدة أسامة كانت تعترض على أن ينام معه في سريره وكانت تقول له: إن غرفتك مليئة بجميع أنواع المخلوقات، فهناك ذلك القنفذ الذي يظل

يخرج ويدخل إلى كل مكان الآن، وبالأمس كان هناك شيء يقفز في كل أرجاء المكان!

فقال أسامة: إنه ليس سوى ضفدع أحضرته من الحديقة وهو معي الآن فلن يقفز في الغرفة بعد ذلك. وأخذ أسامة يبحث في جيوبه وهو يَسْتَطْرِد: إن له عينين جميلتين وسأريك إياه!

فقالت والدته: لا!! لا أريد أن أراه.

وجاء فهد في هذه اللحظة وأخذ يتواثب حول ساقى أُسامةَ حتى أخذه بين ذراعيه، ثم استقر فوق حقيبة الطعام التي كان أسامة قد علقها على ظهره. وصاح أسامة ينادى إخوته، فلما أقبلوا انطلق الجميع إلى خارج المنزل وأخذوا طريقهم نحو التل. وبعد قليل ظهرت نوارة فجأةً وكانت لا تزال ترتدى الثوب الازرق، إلا أنه كان قد اتسخ وتمزق وعلقت به الأوساخ، وكانت في ذلك اليوم تربط حذاءها المطاط حول وسيطها. وكان مما يسلي الأطفال أنها تُحضر حذاءها دائماً، ولكنها لا تلبسه في قدميها أبداً. وقال طريف: لابد أن قدميها قويتان جداً فهي لا تتألم إذا داست على الأحجار والأغصان الجافة !!

وكان الجو حاراً والطريق يرتفع بميل شديد، وأخذ الأطفال يلهثون، وقال أسامة. لماذا اخترنا اليوم لنذهب إلى القلعة؟

فتوقفت نوارة وقالت: القلعة!! إنكم لا تستطيعون الذهاب إليها من هذا الطريق، فهو طريق مسدود، ويمكنكم أن تدوروا حول التل.

فقال أسامة: إنني أريد أن أرى هذا الجزء المنهار من الطريق، ولكننا لن نتخطاه، فقد وعدنا والدتنا بذلك.

وقال طريف: إنني أريد أدخل إلى القلعة.

فاتسعت عينا نوارة من الرعب وقالت: لا! لا !

ونظر الأطفال إليها في دهشة وقال طريف: لماذا؟؟ أليست القلعة خالية؟

فقالت نوارة: نعم! إنها ليست خالية. فقد سُمِعَ فيها صياح وصراخ وصوت أقدام تسير!

فقال أسامة: إنك تُرَدّدين الإشاعات التي يتناقلها القرويون. ولا ريب أن هذه الأصوات ليست إلا أصوات الخفافيش ونعيب البوم؟

وقالت إلهام: وما هي قصة هذه القلعة؟

فقالت نوارة: يقال إن رجلا شريراً كان يعيش فيما مضى في هذه القلعة، وكان يدعو الناس لزيارته ومن يدخل القلعة لا يخرج منها ثانية!!! ويقال أيضاً إنه كانت تسمع صرخات وأنات وصوت سلاح، كما يقال إنه كان يسجنهم في غرف سرية!

وضحك أسامة وقال: يا له من رجل عجوز ظريف! إنني لا أصدق كلمة واحدة من هذه القصة فإن كل الأماكن القديمة تدور حولها مثل هذه القصص، ولو فرضنا أن هذا كان صحيحاً فإنه كان يحدث منذ أجيال سحيقة، وقد مات الرجل الشرير، وأريد أن أستكشف القلعة الآن. أتريد ذلك يا طريف؟

فقال طريف: نعم!! أريد ذلك برغبة غير قوية.

وأخذت كيكي تقول: نعم!! نعم!! نعم!

وقال لها طريف وهو يلهث من التعب: ابتعدي بعض الوقت عن كتفي لقد أصبحت ثقيلة بعد كل هذا الصعود على سفح الجبل.

ونادت نوارة كيكي، فطارت إلى كتفها وهى تنصحها بأن تفتح كتابها على صفحة ٦٠. وكانت نوارة هي الوحيدة التي لم يتعبها تسلق سفح الجبل. وقال أسامة وهو يمسح العرق عن جبهته: لقد قطعنا شوطاً طويلاً، وقد أصبح الطريق هنا غير صالح...

وفعلاً كان الطريق مسدوداً بكتل ضخمة من الصخور والحجارة، وظهرت القلعة من خلفها بأبراجها المربعة الشكل، وكانت القلعة تبدو الآن أكبر من ذي قبل، واستطاع الأطفال أن يروها بوضوح أكثر.. وقال أسامة: كم أود أن أصعد إلى أحد هذه الأبراج! فلا شك أن من يقف عليها سيرى منظرا فريدا للوادي والبلدة.

وقال طريف: إن القلعة ليست على قمة التل تماماً كما تبدو من أسفل التل، ولكن شكلها مخيف ويوحى بالرهبة!

وشعر الأطفال جميعاً أن القلعة غير مشجعة على الدخول إليها! ولكن أسامة نظر إلى نوارة وقال: كيف نستطيع أن نصل إلى القلعة من الجهة الخلفية؟

وعندئذ صاح طريف فجأة: هذا هو النسر مرةً أخرى!

ونظر الجميع إلى طائر كبير بدأ يحلق فوق القلعة. وقال طريف: إنه ضخم جداً! وأعتقد أن له عشاً قريباً من هنا. وهذا نسر آخر !!

وكان هناك نسران عظيمان يطيران في هذه اللحظة فوق التل. وأخذا يحلقان ويرتفعان إلى أعلى ارتفاعاً سريعاً، وأخذ الأطفال يراقبونهما بإعجاب شديد. وقالت أنسام: كيف يستطيع هذان النسران أن يحلقا هكذا، دون أن يحركا أجنحتهما؟؟ إن من السهل أن يهبطا بهذه الطريقة، ولكنهما يرتفعان الآن!

فقال طريف: ربما كانا يستعينان بالتيارات الهوائية الصاعدة! إن وجود نسرين يحسم الأمر فلا بد من وجود عش هنا. وقد حلق النسران من مكان ما خلف القلعة، فهيا بنا ندور حول التل لعلنا نجد هذا العش!!

فقالت إلهام في جزع: هل تريد أن تتألف نسراً؟

فقالت أنسام: إن كيكي لن تسمح له بذلك.

وغير الأطفال طريقهم وقادتهم نوارة عبر التل، وكان التعب قد نال منهم عندما وصلوا إلى ممر صغير جدا، فقالت إلهام في دهشة: من الذي يستخدم هذا الممر الصغير؟

فقالت نوارة: الأرانب البرية، ويوجد هنا آلاف منها وهى تحفر لنفسها أنفاقا وممرات تستخدمها عند الضرورة.

وقالت أنسام: لقد تعبت جدا. فلنسترح هنا قليلاً، وعش النسر لن يطير من مكانه.

وجلس الجميع وأخذوا يتناولون طعامهم. وكذلك أكلت كيكي وأكل فهد. وكان الجميع مجهودين من أثر صعود التل، ماعدا نوارة، فإنها لم يبد عليها التعب. وبعد أن استراحوا بعض الوقت قال أسامة: إنني أسمع صوت خرير ماء وسأبحث عنه!

وقام يطوف في المكان، وما لبث أن صاح: لقد وجدته!! إن الجدول الذي يمر بحديقتنا ينبع من هنا! وأسرع الأطفال إليه، وأخذوا يرتشفون من النبع الصافي، وما لبث طريف أن صاح: هذان هما النسران مرة أخرى. فلننظر.. أين يهبطان؟! لنرى أين سيهبطان؟! كم أود لو أنى أحضرت آلة التصوير معي!

٥ - الدخول في القلعة

اقترب الأطفال من القلعة، ووقفوا يرقبون أسوارها العالية التي لا تتخللها أية فتحات سوى بعض النوافذ الضيقة على ارتفاع نحو خمسة أمتار. وقال أسامة: إن جدرانها مازالت متينة، فهي مبنية من الأحجار الضخمة. ولا شك أن عملية نقل هذه الأحجار إلى أعلى التل كانت عملية صعبة. انظروا ... إن هناك بعض النوافذ المتسعة، ولكنها مرتفعة جداً.

وصاح طريف: هذان هما النسران مرة أخرى. إنهما يهبطان، فانظروا إليهما حتى نعرف مكان هبوطهما.

ووقف الأطفال، وأخذوا يرقبون النسرين حتى هبطا واختفيا خلف القلعة. فقال طريف: لقد هبطا في فناء القلعة، وأراهن أن عشهما في فناء القلعة أيضاً، ويجب أن نعثر عليه!

فقال له أسامة: ولكنك لا تستطيع أن تدخل القلعة!

فسأل طريف نوارة: أين باب القلعة؟

فقالت نوارة: إنك لا تستطيع أن تصل إلى البوابة الكبيرة لأن الطريق إليها مسدود. وأيا كان الأمر فهي مغلقة، وهناك باب آخر في الجهة الخلفية.

فذهبوا إليه وكان الباب مثبتاً فى الحائط المتين ونظر طريف من ثقب المفتاح، ولكنه لم ير شيئاً فقال: أليس هناك طريق يؤدى إلى داخل القلعة؟ يا لها من مكان غريب: كأنه سجن!

فقالت أنسام وهى ترتعش: إنه سجن فعلاً. هل نسيت أن الناس كانوا يدخلون إليه ولا يخرجون ثانية؟

وشعر طريف بخيبة الأمل، فقد وجد نسرين عظيمين ولا يستطيع أن يصل إلى فناء القلعة ليرى عشهما، فقد يكون به بعض البيض أو صغار النسور! وكانت جدران القلعة ملساء عالية لا سبيل إلى تسلقها. وقال طريف النوارة: أليس هناك طريق آخر إلى داخل القلعة؟

فقال أسامة: لو أن هناك طريقاً لدخل غيرنا من الناس!

وقالت نوارة: أعتقد أن هناك طريقاً، فاتبعوني.

وتبع الأطفال نوارة حول القلعة، وساروا فيما يشبه الممر، فقد كانت الجهة الخلفية مبنية داخل التل بحيث كون الجدار الخلفي مع قمة التل ما يشبه ممراً بينهما. ووقفت نوارة وأشارت إلى أعلى. ونظر الأطفال فرأوا نافذة ضيقة على ارتفاع كبير، ونظروا إلى نوارة ولم يفهموا كيف يساعدهم ذلك في دخول القلعة! وقالت نوارة: تستطيعون أن تتسلقوا هذا الجزء من قمة التل المواجه للنافذة، فهو مغطى بالنباتات المتسلقة، ثم تضعون فرعا متيناً عبر الهواء على حافة النافذة وتعبرونه.

واختلفت مشاعر الأطفال نحو هذا الاقتراح، فإن إلهام لم تكن تود الدخول إلى القلعة، وكفاها ما تشعر به من خوف في ذلك الممر القليل الضوء. وأما أنسام فلم ترق لها فكرة تسلق النباتات المتسلقة والعبور فوق جذع شجرة إلى نافذة القلعة. وأما طريف وأسامة فقد كانا متحمسين لدخول القلعة، وصاحت كيكي: أوقد النور!! أوقد النور!

وضحك الأطفال من المصادفة التي جعلت كلام كيكي يبدو مناسباً معقولاً. وخرج الجميع من الممر المظلم إلى الهواء الطلق يبحثون عن فرع يستخدمونه جسراً يُوصلهم إلى النافذة. ولكنهم لم يجدوا شيئاً يصلح لذلك فقالت نوارة: فلنؤجل ذلك إلى الغد حتى تحضروا لوحاً خشبياً معكم.

وأيدتها إلهام قائلة: نعم! فلننتظر إلى الغد.

ولكن طريفاً قال: فلنحاول أن نتسلق هذه النباتات الآن لنرى ما إذا كان من الممكن تحقيق الفكرة قبل أن نأتي بلوح الخشب إلى هنا!

وحاول طريف أن يتساق النباتات، ولكنه ظل ينزلق مرة بعد مرة حتى يئس. فتقدم أسامة وأمسك بالنباتات المتسلقة بقوة، وأخذ يستلقها، ولكنه ما لبث أن انزلق وتدحرج إلى الأرض. فقالت نوارة: سأحاول أن أتسلقها.

وأسرعت نوارة تتسلق النباتات المتسلقة والأطفال في دهشة من خفتها وسرعة حركتها. وسرعان ما وصلت إلى مكان يواجه النافذة الضيقة!! وأمسكت النباتات بإحدى يديها وأخذت تنظر من خلال النافذة. وقالت: أعتقد أنني أستطيع أن أقفز إلى حافة النافذة.

فصاح أسامة على الفور: إياك أن تفعلي ذلك وإلا سقطت وتهشمت ساقاك!! ماذا ترين؟

فقالت نوارة: إن النافذة ضيقة والمكان مظلم، ولا أستطيع أن أتبين ما إذا كانت الحجرة واسعة أو ضيقة. إن شكلها غريب.

فقال طريف: لا شك أن منظرها غير عادى بعد كل هذه السنين من الإهمال!

وقالت نوارة: سأقفز إلى النافذة، وأحاول الدخول إلى القلعة.

ولكن أسامة صاح: إذا فعلت ذلك فلن نسمح لك بمصاحبتنا بعد ذلك! إنك ستكسرين رِجْلَكِ.

وفكرت نوارة قليلاً، ولكنها لم تحتمل أن تُحْرَم من مصاحبة الأطفال الذين أحبتهم، فألقت نظرة أخيرة داخل القلعة، ثم هبطت إلى حيث كان الأطفال واقفين. وقال أسامة: لنفرض أنك وثبت إلى النافذة ودخلت إلى الحجرة ولم تستطيعي الرجوع. لو حدث ذلك لبقيت سجينة إلى الأبد.

ولم تقل نوارة شيئاً، فقد كانت واثقة من قدرتها على التسلق، وكانت تعتقد أن أسامة يجعل من الحبة قبة. وكانت كيكي تستمع إلى صوت أسامة الصارم، فاشتركت فى التأنيب: كم مرة أمرتكِ أن تغلقى الباب!...

فضحكت نوارة وقالت: نحو مائة مرة.

فضحك الجميع وبدأوا رحلة العودة. وقال طريف: سنأتي غداً ومعنا لوح من الخشب، فتتسلق نوارة النباتات، وتضع لنا لوح الخشب على حافة النافذة، ونعطيها أيضاً حبلاً متيناً تربطه في تلك النباتات لنستخدمه نحن فى الصعودِ. والآن أسرعوا لئلا تَظُنَّ والدتنا أنه قد حدث لنا مكروه.

فقال أسامة: إنها تعرف أنه لو كان حدث شيء لأسرع واحد منا لطلب النجدة، فلا تقلق نفسك.

وقادتهم نوارة فى طريق قصير، وسرعان ما وصلوا إلى المنزل، فوجدوا العشاء معداً، فأسرعوا يغتسلون، ثم جلسوا إلى المائدة وكانت معهم نوارة، فقد دعتها والدتهم للعشاء فجلست تأكل وترقبهم لترى كيف يأكلون على المائدة. وقال أسامة: لقد ظننت أن فهداً تركنا وهرب عندما تركته يجرى على سفح التل، ولكنه لم يهرب، بل إنه لم يفكر في الابتعاد عني.

وقالت نوارة : « أعتقد أنى أستطيع أن أقفز إلى حافة النافذة . . . »

فقالت إلهام: إنه ثعلب جميل، ولكن له رائحة نفاذة إلى حد ما، وهذا شيء يؤسف له

فقال أسامة: إن جميع الثعالب ذات رائحة نفاذة، ويحسن أن نتعودي شمها.

وعندما انتهى الجميع من الطعام انصرفت نوارة وتوجه الإخوة للنوم. وقال أسامة لطريف: جهز آلة التصوير حتى لا تنساها.

فقال طريف: لا! لن أنساها. فأنا أريد أن ألتقط عدة صور للنسرين غداً.

ومضى إلى سريره وكيكي تقلد صوت ثثاؤبه.

٦ - في قلعة المغامرات

في صباح اليوم التالي أحس أسامة بمن يلعب فى باطن قدمه، فهب من نومه صائحاً: كفى يا طريف! ولكنه ما لبث أن نظر بدهشة إلى طريف فوجد أنه لا يزال يحاول فتح عينيه ليتبين سبب الصياح. ونظر حوله، ثم قال: إنه فهد!! يجب ألا تلعق قدمي مرة أخرى يا فهد!

وجلس طريف مبتسماً، ثم وقع نظره على آلة التصوير التي كان قد أعدها، فتذكر مشروعهما وقال: هيا بنا، فأمامنا اليوم أعمال عظيمة. إنني أتوق للذهاب إلى القلعة لعلى التقط بعض الصور لهذين النسرين.

وكان أسامة مشغوفا بالطيور كما هو مشغوف بالحيوانات إلا أن شغفه بها أقل من شغف طريف، فأخذ الاثنان يتحدثان عن النسور في الوقت الذي كانا يرتديان فيه ملابسهما. فلما فرغا وجدا والدتهما وأختيهما يجهزن طعام الإفطار.. فقال أسامة: هيا بنا إلى الحديقة نبحث عن لوح الخشب حتى يَفْرَغْنَ من إعداد الطعام.

وخرجا يبحثان حتى وجدا لوحا متيناً من الخشب في الحظيرة فقال طريف: سيكون هذا اللوح ثقيلا، ويجب أن نتعاون جميعاً في حمله بالدور ... كل منا يحمله نوبة. فقال أسامة: أخشى إذا أخذنا لوحاً أصغر ألا يكفى للوصول من قمة التل إلى النافذة.

وعاد الاثنان أدراجهما والثعلب فهد يتبع أسامة كظله، ولكنه لم يكن يجرؤ على الاقتراب من طريف، ففي كل مرة يقترب فيها منه تنقض عليه كيكي، وقد أشرعت منقارها المعقوف محدثة ضجة كبيرة ومنهالة عليه باللوم والتقريع.

وبعد أن تناول الأطفال طعام إفطارهم أخذ الصبيان أختيهما إلى الحديقة لتشاهدا اللوح الخشبي الذي وجداه، ثم ذهبوا إلى والدتهم. وقال أسامة: سنذهب اليوم لنقضى النهار عند القلعة، وقد أعدَّ طريف آلة التصوير لكى يلتقط صُوَرَ النسرين.

فقالت والدته: إن الجو معتدل وهو مناسب للنزهة، ولكن يجب ألا تذهبوا إلى ذلك الجز المنهار من الطريق الذي يؤدى إلى القلعة، حتى لا تتعرضوا للأخطار.

فقال أسامة: لن نذهب من ذلك الطريق، فقد أرشدتنا نوارة إلى طريق آخر. هذه نوارة قد جاءت.

وكانت نوارة قد وصلت في هذه اللحظة وقالت الوالدة: لقد عادت نوارة إلى قذارتها السابقة، ولو أنى كنت أعلم أنها لن تحافظ على نظافتها لما أتعبت نفسى في تنظيفها، وأعتقد أنها لا تستسيغ النظافة.

فقالت إلهام: إن كل ما أعجبها هو رائحة الصابون، فإذا أردت أن تغريها بالاستحمام فأهديها قطعة من الصابون المعطر.

ولم تمض لحظات حتى كان الأطفال قد انطلقوا في سبيلهم وقد حملت إلهام حقيبة الطعام وحملت أنسام آلة التصوير، وحملت نوارة كيكي فوق كتفها، وحمل أسامة وطريف لوح الخشب فيما بينهما.

وقال طريف لنـــوارة: اتبعي أقصر الطرق التي تعرفينها فإن هذا اللوح ثقيل.

ثم قال موجها كلامه لأســـامة: هل أحضرت الحبل معك؟؟؟

فقال أسامة: نعم. لقد أحضرته.

وظل الأطفال في طريقهم والثعلب الصغير فهد يتبع أسامةَ. وبين حين وحين تطير كيكي لتلقى بعض نصائحها على الطيور التي تراها، ثم تعود إلى كتف نوارة. وأخيراً وصل الأطفال إلى القلعة وداروا حولها حتى وصلوا إلى بداية الممر المحصور بين حائط القلعة وقمة التل. فترك الصبيان لوح الخشب وجلسا يستريحان قليلا ثم قال طريف لأختيه: هيا لتشاهدا كيف نضع اللوح على النافذة!

فقالت أنسام: نعم!

وسارع الجميع مرة أخرى في الممر حتى وصلوا إلى المكان الذي تسلقته نوارة فى اليوم الماضي، فقال لها أسامة: تسلقي هذه النباتات واربطي الحبل في مجموعة من النباتات القوية حتى نستعين به على الصعود.

وسرعان ما تسلقت نوارة النباتات وربطت الحبل بإحكام شديد، ونزلت ثانية، وكان أسامة قد أخرج قطعة أخرى من الحبل

وربط بها اللوح الخشبي، وقال: سأسحب اللوح خلفي وأنا أتساق النباتات مستعيناً بالحبل.

وبدأ أسامة يتسلق الحبل بيد وقد أمسك الحبل المتصل باللوح بيده الأخرى، ولكن الأمر كان صعباً، فنزل ثانية وقال لطريف: اربط الحبل المتصل باللوح حول وسطى حتى أستطيع أن أستخدم كلتا يدى فى التسلق. فربط طريف الحبل حول وسط أسامة ثم أخذ أسامة يتسلق النباتات المتسلقة مرة أخرى مستعيناً بالحبل وهو يحس ثقل اللوح الخشبي حول وسطه. وأخيراً وصل إلى مكان مواجه للنافذة، فصاح طريف: إنني قادم لمساعدتك..

وأخذ يتسلق الحبل كما تسلقه أسامة، فلما وصل تعاون مع أسامة حتى حل الحبل من حول وسطه، ثم أخذا يحاولان مد اللوح نحو النافذة مرة بعد أخرى حتى نجحا في وضع طرف اللوح على حافة النافذة، ثم قام أسامة بتثبيت الطرف الآخر فوق حافة التل بين النباتات والأعشاب المتسلقة، واختبر طريف ثبات اللوح فوجده ثابتاً متيناً، ثم اختبره أسامة فاطمأن إليه الاطمئنان كله. وكانت كيكي تراقب ما يحدث بدهشة بالغة، فلما رأتِ اللوح قد وضع على حافة النافذة طارت ووقفت عليه، ثم سارت حتى وصلت إلى النافذة،

وأطلت برأسها داخل الغرفة وصاحت أنسام: إن كيكي تحب أن تدس أنفها في كل شي.. هل نصعد إليكم.

فقال أسامة: مهلا حتى أجهز لكن مكاناً منبسطاً لتقفن عليه، فالمكان هنا ليس شديد الانحدار.

وقال طريف: سأعبر اللوح.

فصاحت أنسام: لا! انتظر حتى أصعد لأراك، فأنا لا أرى سوى قدميك من هنا!

وسرعان ما كانت البنات الثلاث بجانب أسامة وطريف. وأخذ الجميع يراقبون طريفاً وقد جلس على اللوح وتدلت كل من ساقيه على أحد جنبي اللوح وجلس كأنه يمتطي حصاناً، وأخذ يتحرك ببطء حتى وصل إلى النافذة فوقف على اللوح وصاح: إنها ضيقة جداً!

فقال أسامة: إذا لم تستطع الدخول فلن أتمكن أنا أيضاً، حاول قليلا فإنك لست بديناً.

وأخذ طريف يدفع نفسه حتى استطاع الدخول، ثم صاح : تعالوا!! إن الظلام هنا شديد ويجب أن نحضر بطاريتنا في المرة القادمة.

وتبعته إلهام يساعدها أسامة وتبعتها أنسام ونوارةً وأخيراً تبعهم أسامة، فلما نجح في الدخول صاح:

ها نحن أولاء في قلعة المغامرات.

٧- فوق البرج

قالت أنسام: قلعة المغامرات!!! ما الذي جعلك تقول هذا؟! هل تتوقع أن تحدث مغامرات هنا؟

فقال أسامة: لا أدرى! ولكني قلت ذلك دون قصد أليست الدنيا ظلاماً هنا؟

ثم أطل برأسه من النافذة وقال: لقد نسينا فهداً.

وأخرجت كيكي رأسها من النافذة، وأصدرت صوتاً عالياً، فقالت إلهام: إن هذا الصوت معناه أنها تقول لفهد: إنها صعدت إلى هنا أما هو فلم يصمد.

وكانت الغرفة التي وثبوا إليها شديدة الظالمة، ولكن عيونهم تعودت الظلام بعد قليل، فقال طريف: إنها غرفة فسيحة عارية من الأثاث، وأعتقد أن كل غرف القلعة مثل هذه الحجرة متسعة خاوية. فلنقم ببعض الاستكشافات.

وخرج الأطفال من الحجرة فوجدوا أنفسهم في ممر طويل ساروا فيه حتى وصلوا إلى حجرة أخرى أقل ظلاماً لأن بها نافذة صغيرةً وأخرى كبيرة، ولكنها كانت خالية أيضاً. فانتقلوا إلى غرفة أخرى لم يكن بها غير نافذة واحدة ضيقة، وسارت إلهام نحوها، ولكنها ما لبثت

وجلس طريف على اللوح كأنه يمتطي حصاناً ، وأخذ يتحرك ببطء . . .

أن صرخت وعادت مسرعة فاصطدمت بأسامة الذي صاح: ماذا حدث؟

فقالت إلهام: لقد أحستُ شيئًا يمس شَعَرِى؟

فقال أسامة: لا تكوني حمقاء!

ولكنه توقف!! فقد أحس شيئاً يمس شعره، فاستدار بسرعة وقد تلاحقت دقات قلبه.. فهل هناك شيء في الغرفة يمس رءوسهم في الظلام؟! لم يكن ذلك سوى خيوطِ العَنْكَبوتِ المتدلية من السقف.

ولكن إلهام رفضت البقاء فى الغرفة، فقد كانت تخشى أن تسقط فوقها بعض العناكب من سقف الحجرة. وخرج الجميع إلى الممر الذي كانت تُضيئه أشعة الشمس المنحدرة من خلال عدد كبير من النوافذ، وصاح طريف: انظروا!! إن هذا الممر يقود إلى أحد الأسوار الخارجية للقلعة. فلنتبعه حتى نصل إلى البرج.

وقال أسامة وهم سائرون: إنني أشعر كأنى جندي يسير في نوبة حراسة فوق سور القلعة. انظروا!! هناك حجرة في أسفل البرج، وهناك درجات حجرية مؤدية إلى أعلى البرج فهيا نصعد فيها.

وأخذ الأطفال يصعدون في الدرج الحلزوني حتى وجدوا أنفسهم في حجرة أخرى يخرج منها سلم آخر إلى سقف البرج نفسه. فصعد قيه الأطفال حتى وصلوا إلى السطح ووقفوا ينظرون في دَهْشَة

إلى المنظر الرائع الذي ظهر لهم. وخيل إليهم أنَّ العالم كله ينبسِطُ أمامهم. وكانت المنازل ترى صغيرة كأنها لعب، وكان النهر العظيم يلمع فى أشعة الشمس ويبدو كأنه ثعبان لامع. وأخذت نوارة تنظر في دهشة، فلم تكن تعلم أن العالم كبير كما كانت تراه في تلك اللحظة من فوق البرج، وقال أسامة: إنه مكان مُدهش لمراقبة الوادي، وأعتقد أن أي حارس كان يقف هنا.. يمكن أن يرى الأعداء على بعد عظيم. أليس هذا هو منزلنا؟

وصاح طريف: هذان النسران!

وكان النسران يُحَلقان فى ذلك الوقت مرتفعين في الهواء، وقال طريف: ما رأيكم فى تناول الطعام هنا حتى نتمتع بهذه المناظر ونراقب النسرين في نفس الوقت؟

فوافق الجميع وقال أسامة: كم كنت أود لو أننا أحضرنا فهداً المسكين معنا، ولكن فى ذلك مخاطرة وأخشى أن يهرب عندما يجد نفسه وحيداً.

فقالت إلهام: إنه لن يهرب، فإن هذه الحيوانات لا تهرب منك.. ما هذا؟؟ هل أحضرت هذا الضفدع الكرية معك؟!

إنني لن أجلس هنا وهذا الضفدع يتواثب من حولنا!

فصاح طريف منزعجاً: لا تبدؤوا العراك الآن، فهذا السور لن يمنعكم من السقوط...

وقالت أنسام لكي تفتح موضوعاً آخر للحديث: إني أكاد أموت من الجوع، فافتحي حقيبة الطعام يا إلهام. وأخرجت إلهام الطعام، وأخذ الجميعُ يلتهمون طعامهم بشهية كبيرة، وقال أسامة: قمنا بنزهات كثيرة، ولكننا لم نتناول طعامنا في مثل هذا المكان قبل الآن.

فقالت أنسام: إن المنظر جميل جداً من هنا، وأعتقد أن ذلك الرجل الشرير الذي أخبرتنا عنه نوارة لم يشتر القلعة إلا من أجل هذه المناظر الجميلة.

وأخذ الأطفال يلتهمون طعامهم في سعادة وهم يراقبون كيكي التي كانت واقفة على سور السطح تقوم ببعض الحركات البهلوانية، وفجأة اختل توازن كيكي وسقطت في الهواء وهى تصيح. وهب الأطفال مذعُورين ...!! ولكنهم ما لَبِثُوا أن جلسوا ثانية وقد شعروا بحماقتهم، فإن كيكي بمجرد أن سقطت فردت جناحيها وطارت في الهواء. وقالت إلهام: إذا كنتم قد فرغتم من طعامكم فضعوا الأوراق في الحقيبة، ولا تتركوا شيئًا وَرَاءَكم.

وكان طريف يراقب النسرين اللذين كانا يحلقان طوال تلك

الفترة، ولكنهما بدآ يهبطان عندئذ. وأخذ الأطفال يراقبون النسرين وها يهبطان، وكان فناء القلعة خلفهم قد نبت فيه كثير من الأعشاب والنباتات المستقلة التي غطت سورا القلعة. وقال طريف: أعتقد أن عش النسر يقع خلف هذه الأشجار فوق قمة التل. فهو مكان مناسب له، هل نذهب لرؤيته؟

فقال أسامة: سننتظر حتى يطير النسران ثم نذهب لإلقاء نظرة على العش. تعالى يا كيكي.. وطارت كيكي فرحة، وأخذ الأطفال يهبطون الدرج ثانية حتى وصلوا إلى الغرفة السفلية وعادوا أدراجهم إلى داخل القلعة يبحثون عن سلم يؤدى إلى الدور الأرضي لكى يصلوا إلى الفناء. وظلوا يدخلون غرفة بعد غرفة -وكانت جميعها خالية- حتى وصلوا إلى سلم أخذوا يهبطون فيه حتى وصلوا إلى رَدْهَة فسيحة وفجأة اندفع شيء بين رجلي أسامة جعله يقفز في الهواء صائحاً من المفاجأة.. ووقف الجميع في أماكنهم وقالت أنسام هامسة: ما هذا؟

وصاح أسامة: إنه فهد!! كيف دخل هذا الثعلب إلى القلعة؟

فقالت إلهام: لابد أنه عثر على جحر يوصل إلى هنا، فتسلل عن طريقه.

وكانت كيكي هي الوحيدة التي لم يسرها وصول فهد، فأخذت توجه إليه اللوم لأنه لم يقفل الباب ولم يضع البراد على النار..

الفصل الثاني

١- عش النسر

خرج الأطفال إلى فناء القلعة الخالي، وكان يحيط به بناء القلعة من جهة، والجهة الأخرى قامت فيها قمة التل مقام السور ... فعبر الأطفال الفناء، واتجهوا إلى ذلك الحائط الصخري وكانت النباتات المتسلقة تغطى أجزاء كثيرة منه. وقال طريف: إنني أعتقد أن عُش النسر لابد أن يكون فوق إحدى هذه الصخور العالية. وسأتسلقها أنا وأسامة، أما أنتن فَابْقَيْنَ هُنا...

وقبل أن يشرع الطفلان في التسلقِ دَوَّت في المكان صيحة عظيمة أشاعت الذعر في قلوبهم جميعاً، وأسرع الثعلب فهد إلى أحد الجحور يختبئ فيها، وظنت نوارةُ الساذجة أن الرجل الشرير يقتل أحد ضحاياه أو يعذبه، وظل الأطفال واقفين في أماكنهم وقد كادت دماؤهم تتجمد في عروقهم. وقالت أنسام لطريف هامسة :لا تتسلقوا هذه الصخور حتى...

ودوت الصيحة الهائلة مرة ثانية والأطفال يتطلعون حولهم في فزع لعلهم يعرفون مصدر الصياح!! ثم دوت الصيحة مرة ثالثة، ولكنها كانت صادرة من بينهم هذه المرة، فكادت قلوبهم تنخلع...

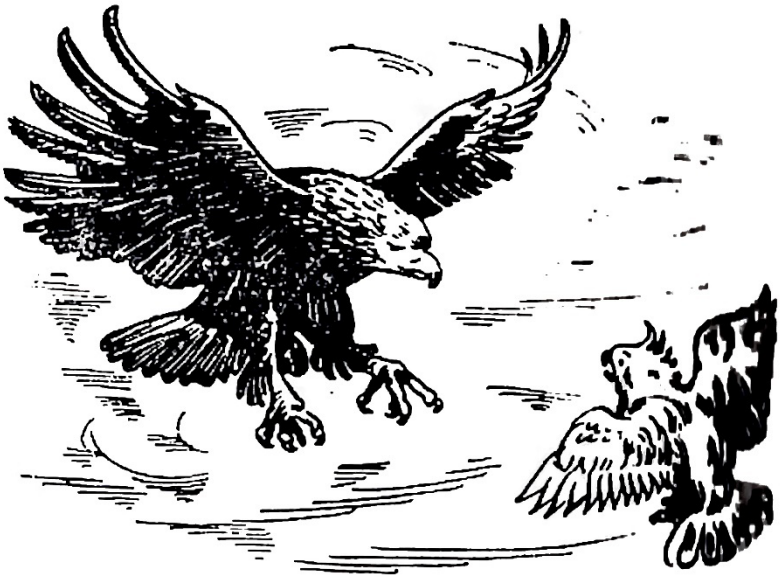

ثم تبينوا أن كيكي كانت تقلد صوت الصياح الذي أعجبها. فقال لها طريف بصوت صارم، ولكنه منخفض: اخرسي أيتها الشقية!

وفى تلك اللحظة شاهد الجميع نسراً هائلًا يُحَلِّق من خلف الصخور وهو يحدق فى الأطفال، ونظر الأطفال إليه ورأوه وهو يُطلق تلك الصيحة التي أفزعتهم، فقال طريف: إنه النسر!! كيف لم أستنتج ذلك من أول الأمر!! إن هذا يدل على أن العش فوق هذه الصخور. هيا بنا يا أسامة!

وأخذ النسر يحلق فوق رءوس الأطفال، وطارت كيكي إليه وهى تقلد صياحه، والنسر ينظر إليها كأنما يعجب: كيف يتأتى لهذا الطائر الصغير الغريب الشكل أن يحدث أصواتاً كالنسور؟!

وظلت كيكي تدور حول النسر وهو ينظر إليها بحدة، ثم صاحت فجأة: أقفل الباب!! افتح كتابك صفحة ٦!

وابتعد النسر عنها قليلا عندما سمع ما يُشبه صوت الإنسان، ثم ارتفع في الهواء فجأة حتى وصل إلى صخرة عالية وحط عليها وأخذ ينظر للجميع من عليائه في عظمة تليق بملك الطيور. وقال طريف: أليس طائراً عظيما؟! انظروا إلى عينيه الحادتين وشكله الفخم. إنه ملك الطيور بحق!

وقالت أنسام: هذا هو النسر الآخر!

ونظر الأطفال فرأوا نسراً هائلا آخر يرتفع في الهواء وكأنما خرج يستطلع سبب تلك الضجة. وكان النسر الأول قد تضايق من كيكي التي كانت تدور حوله، فطار عن الصخرة وانضم إلى زميله. وقال طريف: إن النسر الأول هو الذكر، أما النسر الثاني فهو الأنثى!

فقالت إلهام: وكيف عرفت؟ إنني لم ألاحظ فرقاً بين الاثنين!

فقال طريف: إن هذا النوع من النسور يكون الذكر منه أصغر حجماً من الأنثى. والنسر الأول أصغر من الثاني.

وقال أسامة: كان يجب أن تلتقط صورة النسر وهو جاثم على تلك الصخرة العالية.

فصاح طريف: يا خسارة! لقد ضاعت فرصة نادرة، فقد كنت منهمكا في التطلع إلى النسرين!

وكان النسران قد ارتفعا ارتفاعاً شديداً. فقال أسامة: إنها فرصة للبحث عن العش. ونستطيع أن نبحث في اطمئنان، والنسران على هذا البعد الشاهق، ولكن أين ذهب فهد؟؟ لقد دخل إلى هذا الجحر ولم يخرج ثانية.

فقال طريف: لعله يطارد بعض الأرانب ثم يعود ثانية. إنه على حق في اختبائه في ذلك الجحر. ولو أنى كنت أستطيع أن أدخل فيه لفعلت.

وبدأ الصبيان يتسلقان الصخور مرة أخرى. وكانت الصخور شديدة الانحدار والارتفاع. وعندما اقترب الصبيان من القمة وجداً بغيتهما. وصاح طريف: انظر!! إنني لم أرعشاً كبيراً مثل هذا العش!

وأخذ الاثنان يقتربان من العش الضخم، وقال أسامة: هذا نسر آخر في العش!"

فقال طريف: إنه فرخ صغير برغم ضخامة جسمه. إن عمره لا يتجاوز ثلاثة أشهر. وهى السن التي يبدأ فيها يتعلم فرخ النسر الطيران.

وطارت كيكي إلى العش ونظرت في داخله، ثم أطلقت صيحة تشبه صيحة النسر، فتطلع فرخ النسر إلى أعلى نحو الصوت المألوف لديه، ولكنه لم ير سوى كيكي، فأخذ ينظر إليها مشدوها وهمس أسامة لطريف: أين آلة التصوير؟؟ أسرع!

وأخذ طريف يُعد آلة التصوير بسرعة. وقال أسامة: أسرع فإن النسرين الكبيرين قادمان.

ونظار طريف إلى أعلى فرأى النسرين الكبيرين يهبطان من ارتفاعهما العظيم بسرعة، وقد رأيا الصبيين بالقرب من عشهما، فأقبلا يستطلعان ما يحدث. والتقط طريف صورة فرخ النسر على عجل وأسرع مع أسامة يهبطان الصخور في الوقت المناسب قبل أن يصل النسران. وفى هذه اللحظة طارت كيكي لتقابل النسرين، وهى تردد صيحاتها المقلدة. وقالت أنسام لطريف: هل التقطت صوراً؟؟

فقال طريف: نعم! إن فرخ النسر على وشك تعلم الطيران. وسأعود لأصوره وهو يتعلم الطيران. وسأرسل الصُّوَرَ إلى إحدى المجلات لتنشرها وأكسب نقوداً كثيرة.

فقالت أنسام: إن هذه فكرة مدهشة!

فقال طريف: ولكني أخشى ألا تتيسر لي فرصةً رؤية النسر الصغير عندما يحاول الطيران للمرة الأولى. وأرى أن آتي إلى هنا، وأقيم بضعة أيام متوالية وأراقب النسور بصفة دائمة.

فقال أسامة: إن والدتي قد توافق على ذلك إذا أخبرتها بقصة النسور.

فقالت إلهام: ولماذا لا نأتي جميعاً ونقيم عدة أيام هنا؟

فقال أسامة: إننا لا نستطيع أن نترك والدتنا وحدها. ويكفى أن يأتي طريف إلى هنا!

فقال طريف: نعم! سآتي إلى هنا وأهيئ لنفسي مخبأً فوق هذه الصخور، على مقربةٍ من عش النسر حتى إذا اعتادت النسور رؤيتي استطعت أن التقط ما أشاء من الصور دون أن تنزعج أو تأخذَ حِذْرَها مني.

فقال أسامة: عندما نعود إلى المنزل أطلب من والدتنا أن تسمح لك بالعودة إلى هنا. وكنت أود أن آتي معك إلا أنه من الواجب أن يبقى أحدنا فى المنزل. والآن هيا بنا نستكشف الجزء السفلى من القلعة

وعاد الأطفال يعبرون الفناء مرة أخرى، ودخلوا القلعة وهم يتوقعون أن يروا غرفا واسعةً خاوية كتلك التي رأوها في الطابق الأعلى.

٢ - شيء عجيب!!

ومر الأطفال من الباب الكبير إلى الردهة الخالية. وأخذ صدى وقع خطواتهم يتردد في جنباتها ووصل إلى سميهم صوت صياح النسور. فقال أسامة: أعتقد أن الصياح الذي كان القرويون يسمعونه إنما هو صوت صياح النسور.

وتوجه الأطفال إلى باب إحدى الحجرات، وفتحه طريف ووقف الجميع في دهشة.

....فقد كانت الغرفة مفروشة، ويبدو أنها كانت حجرة استقبال. وكان الضوء يتسلل إليها من خلال أربع نوافذ ضيقة، ونافذة، واحدة واسعة. وكان الأثاث قديماً تغطيه الأتربة ونسيج العنكبوت الذي نسجته عشرات العناكب على مر السنين. ودخل الأطفال الحجرة بهدوء. وتقدمت أنسام من أحد المقاعد وضربت عليه ضربة خفيفة فارتفعت منه سحابة من الغبار. وجذب أسامة غطاء أحد المقاعد فتمزق فى الحال لِفرْطِ قِدَمِهِ.. فقال: إن هذا الأثاث قديم جداً، وإني لأعجب لماذا تركت هذه الغرفة مفروشة؟

وخرج الأطفال من الحجرة، ودخلوا الغرفة التي تليها، ولكنها كانت خالية من كل شيء.. فانتقلوا إلى الغرفة التالية، فدهشوا لأنهم وجدوها مملوءة بالأثاث. ويبدو أنها كانت غرفة المائدة. وتقدمت

انسام من الصوان وفتحته فوجدته مملوءا بأدوات المائدة: من أطباق من الصيني وأوان وملاعق فضية وغير ذلك. ولكن جميع الأشياء الفضية كانت حائلة اللون لفرط إهمالها ... ومضى الثعلب فهد يدور في المكان يتشمم الهواء، فى حين أن كيكي قبعت على كتف طريف. وخرج الأطفال من هذه الحجرة وأخذوا يدورون حتى وصلوا إلى المطبخ، وكان مكانا عظيم الاتساع، وفى أحد جوانبه فرن ضخم لطهي الطعام. وحاول طريف حمل آنية من الأواني، ولكنها كانت ثقيلة ثقلاً يجعله يعجز عن حملها. فقال: يبدو أن الطباخين في العصور القديمة كانت لهم أذرع قوية جدا!

ورأى طريف أسامة يُحملق في شيء ما . . . فقال له: فيم تحملق هكذا يا أسامة؟

فقال أسامة: انظر إلى هذه المضخة! لا شك أنها كانت تستعمل في السنين الغابرة لجلب الماء من باطن الأرض. ولكنها لم تستعمل منذ أمد طويل. فمن أين جاء هذا الماء الذي يكون هذه البركة الصغيرة في أرض المطبخ؟

ونظر طريف إلى السقف ... لعل هناك ماء يتسرب منه. ولكن لم يكن هناك شيء من ذلك بالطبع. وعاد أسامة يقول: إن هذا الماء ليس له في هذا المكان سوى يوم اثنين وإلا لكان قد جف.

وقال طريف: لنجرب المضخة! أهي صالحة للاستعمال؟

ومد طريف يده لكي يمسك بذراع المضخة، ولكن أسامة أسرع يمنعه، وقال: انظر إلى ذراع المضخة! إنها نظيفة وليس عليها ذرة واحدة من التراب!

ونظر الجميع إلى ذراع المضخة وهم يتساءلون: من الذي يستعمل المضخة في هذه القلعة القديمة المهجورة؟

وأخذ الثعلب فهد يلعق الماء الذي كون البركة الصغيرة، فقال أسامة: انتظر يا فهد وسأخرج لك بعض الماء.

وأمسك بذراع المضخة وحركها إلى أعلى وإلى أسفل، فتدفق الماء صافياً إلى حوض المضخة وتناثر بعضه وسقط في البركة الصغيرة، فقال أسامة: هكذا تكونت هذه البركة الصغيرة. ولا شك أن هناك من استعمل تلك المضخة في الأيام القليلة الماضية.

وشعر الأطفال بالخوف، وتمنوا لو يخرجون إلى الهواء الطلق.

وقال طريف لأسامة: هل يمكن أن يكون في القلعة أحد؟ أو من الذي استعمل المضخة؟

لا شك أن هناك من استعمل تلك المضخة فى الأيام القليلة الماضية . . .

فقال أسامة: أعتقد أنه ليس فى القلعة أحد. وكل ما في الأمر - على ما أعتقد ـ أن أحد المتعطلين كان يتسكع حول القلمة فدخل إليها واستعمل المضخة لكي يحصل على بعض الماء يروى به عطشه!

ولكن إلهام قالت: وكيف استطاع هذا الشخص الدخول؟

وكان هذا سؤالاً محيراً...!! وقال طريف: قد يكون هناك طريق ما!

فقالت نوارة: لا! لقد تجولت كثيراً حول القلعة وليس هناك أي طريق إلى داخل القلعة!

فقال أسامة: دعونا من هذا الموضوع، وهيا بنا إلى فناء القلعة لنتناول بعض الشطائر!

وخرج الأطفال إلى الهواء الطلق وأخذوا يلتهمون طعامهم.

وقالت أنسام: إنني أحس بعطش شديد.

وكان الجميع يشعرون بالعطش، ولكن أحداً منهم لم يكن يرغب في العودة إلى المطبخ لكي يحضر بعض الماء. وقال أسامة: أعتقد أن الجدول الذي يمر بحديقة منزلنا ينبع من مكان ما في هذا الفناء، وسأحاول أن أعثر عليه.

ونهض أسامة يطوف فى الفناء المتسع والثعلب فهد يتواثب حوله، وكان فهد هو الذي عثر على النبع. ونادى أسامة إخوته فأقبلوا

مسرعين يرشفون من الماء الصافي الذي كان يتدفق من بين الصخور ثم يختفى في شبه نفق صغير يمتد تحت البرج الذي تناول الأطفال طعامهم فوقه. وقال طريف: أعتقد أن هذا النفق يمر تحت برج القلعة ويخرج إلى سفح التل حتى يصل إلى حديقة منزلنا. وقال أسامة: لقد قضينا يوماً مثيراً!! ولكن ... ألن تشعر بالوحدة يا طريف إذا جئت لتمكث هنا وحدك؟

فقال طريف: لا فستكون كيكي معي، وكذلك النسور!

وقالت إلهام: إنني لا أحب أن أبقى هنا وحدي ... أو على الأقل حتى أعرف الذي استعمل المضخة.

فقال طريف: إنني أعتقد أن أسامة على صواب، وأن الذي استعمل المضخة هو أحد المتسكعين استطاع أن يدخل القلعة.

ولكن إلهام أصرت على سؤالها: ولكن كيف استطاع الدخول؟

فقال أسامة: لعله استعمل الطريق الذي جاء منه فهد.

فقالت إلهام: وكيف دخل فهد؟

فقال أسامة وهو يقصد إغاظة إلهام وإثارتها: لقد دخل عن طريق أحدِ جُحور الأرانب. فصاحت إلهام: هل هذا كلام معقول؟ قد

يستطيع فهد أن يدخل من أحد جحور الأرانب، ولكن رجلا لا يستطيع أن يفعل ذلك!

فقال أسامة هازلا: كيف لم أفطن إلى هذه الحقيقة من قبل! ووثب أسامة من مكانه بسرعة ليتفادى الرمال التي قذفتها إلهام نحوه. وصاح طريف: كفى! لقد دخل الرمل في عيني. لقد آن وقت عودتنا وسنترك فهداً هنا، ونراقب المكان من الخارج حتى نعرف من أين يخرج، وربما نستطيع استعمال الطريق.

٣ - لقاء غير منتظر

دخل الأطفال مرة أخرى إلى القلعة وصعدوا في السلم إلى الطابق الثاني، وساروا فى الممر وهم يتطلعون فى الحجرات حتى وجدوا الغرفة التي يستند لوح الخشب إلى نافذتها فدلفوا إليها وصاح أسامة يكلم فهداً: اخرج من حيث أتيت، وانضم إلينا خارج القلعة.

وهبط الأطفال بالاستعانة بالحبل، وقال أسامة: إذا لم يخرج فهد فسأضطر إلى العودة لإحضاره، ولكني متأكد أنه سيلحق بنا بعد دقيقة واحدة !

وانطلقوا في سبيلهم وطريف يقول: انتبهوا جيداً حتى نرى الطريق الذي يخرج منه فهد.

ولكن فألهم خاب، فقد ظهر فهد فجأة وهو يتواثب حول ساقي أسامة دون أن يرى أحد من أي اتجاه قدم!! وقال طريف: من أين جئت؟

ولكن فهداً لم يكن يستطيع أن يجيب.

وعندما عاد الأطفال إلى المنزل كانوا قد بلغ منهم التعب مبلغه وأخذوا يقصون مغامراتهم على والدتهم، ولما أخبرها أسامة بأمر بركة الماء التي رأوها بجانب المضخة في مطبخ القلعة قالت: إنكم تتخيلون أشياء وتخيفون أنفسكم بها. وأغلب الظن أن المضخة فيها عطب وأنها ترشح. وأما تلك الغرف المفروشة فأمرها عجيب حقاً، ويدل على أن القرويين وكل اللصوص يخافون الاقتراب من القاعة!

وعندما تحدث أسامة وطريف مع والدتهما عن النسور، أبدت موافقتها على فكرة طريف، وقالت: إذا استطعت أن تهيئ لنفسك مخبأً مناسباً فإنك تستطيع أن تلتقط ما شئت من الصور.

وقال أسامة: سنأتي إليك كل يوم لنحضر لك الطعام ونطمئن عليك.

وقال طريف: وأنا سأرسل لكم إشارات من فوق البرج، فإن من يقف على البرج يستطيع أن يرى هذا المنزل. وسأشير إليكم بمنديلي الأبيض.

وقالت أنسام: عندما أرى إشارتك سأشير إليك أنا أيضاً بمنديلي الأبيض. ولكن هل ستنام فوق البرج؟

فقال طريف: لا أعرف المكان الذي سأنام فيه، وأعتقد أني لن أقضى كل وقتي فوق البرج، وقد أهيء لنفسي مكاناً فوق إحدى الأرائك فى حجرة الاستقبال إذا استطعت إزالة الأتربة عنها.

ولم تستطع نوارة أن تدرك كيف يجرؤ طريف على أن يبيت وحده في هذه القلعة المخيفة، واعتقدت أنه أشجع صبي في الدنيا. وقالت والدة الأطفال لنوارة: لقد حان وقت عودتك وتستطيعين أن تأتى غداً..

وحيتهم نوارة وانطلقت إلى كوخها، وانصرف الأطفال إلى فراشهم، وقال أسامة لنفسه وهو يتهيأ للنوم: إن مسألة بركة الماء التي بجانب المضخة محيرة حقاً! وأنا متعب جداً الآن، ولا أستطيع أن أفكر أكثر من ذلك!

وفى اليوم التالي قال أسامة لطريف: هل أنت مستعد للذهاب إلى القلعة اليوم؟

فقال طريف: لقد اكتشفت أنه ليس لدى أفلام لآلة التصوير، ولذلك سيكون ذهابي عديم الفائدة. وأعتقد أنني لن أجد أفلاماً فى

هذه القرية الصغيرة. فقالت والدته: يمكنك أن تأخذ إخوتك وتستقلوا القطار إلى أقرب بلدة حيث تشترون ما تريدون..

فقالت إلهام: نعم. إننا فى حاجة لشراء بعض الأشياء ويمكننا الآن أن نلحق بالقطار الوحيد الذي يذهب إلى البلدة، ثم نعود بالقطار الوحيد الذي يغادر البلدة بعد الظهر.

وانطلق الأطفال في طريقهم إلى محطة السكة الحديدية بعد أن تركوا الثعلب فهداً مع نوارة. ولكن كيكي صحبتهم جالسة على كتف طريف كما اعتادت. ومضت تثير الضحك والابتسامات في كل مكان بهذرها ولغوها. وظل الأطفال طوال الطريق يتطلعون من نافذة القطار ويمتعون أنفسهم بمشاهدة المناظر الطبيعية. فلما وصلوا إلى البلدة غادروا القطار وانطلقوا خارجين من المحطة، وساروا في الطريق العام. وبعد قليل سمعوا أحداً يحييهم هاتفا: أهلا بكم! من كان يظن أنى سألتقى بكم هنا؟ والتفت الأطفال نحو محدثهم الشاب.. ثم صاحوا: سمير [1]!!!

وأسرع الأطفال يصافحونه ويحيونه بحرارة ... وطارت كيكي إليه وهى تُحدث أصواتاً تدل على الفرح والسعادة. ولم يكن الأطفال قد رأوا صديقهم سميراً منذ أن انتهت مغامرتهم السابقة، وقبض

---

(1) ضابط يعمل في المخابرات، تعرف عليه الأطفال في مغامرة والجزيرة الغامضة، وأعانوه على القبض على المزيفين، ثم أرسلته الحكومة في مهمة خاصة إلى الاقليم الشمالي.

سمير على الأشرار الذين كانوا يزيفون النقود، فمضوا يتذاكرون تفاصيل مغامرتهم الفذة. وقال سمير: إني أدعوكم لتناول الطعام معي. ألديكم خطط خاصة بكم؟ إني أريد أن أعرف ماذا تفعلون هنا. لقد كنت أظن أنكم تقضون العطلة في منزلكم بالإقليم الجنوبي.

فقال أسامة: وماذا تفعل أنت هنا؟ هل تطارد بعض المزيفين مرة أخرى؟ أراهن أنك في مهمة مثيرة!

فابتسم سمير وقال: قد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون. وأياً كان الأمر فإنه يجب ألا أخبركم. أليس من المحتمل أن أكون في إجازة مثلكم؟! هيا بنا إلى هذا المطعم.

ودخل الجميع المطعم الصغير الذي يعد أحسن مطاعم البلدة، وأخذوا يتناولون طعامهم. وكان الأطفال في سرور شديد من استعادة ذكريات مغامرتهم السابقة فى منجم النحاس، ومع مزيفي النقود، مرة بعد مرة. وكانت كيكي سعيدة أيضاً برؤية صديقهم القديم، وأخذت تحييه وتنصحه بأن يفتح كتابه صفحة ٦٠ وقال سمير: والآن يجب أن تخبروني ... ماذا تفعلون هنا؟

فأخذ الأطفال يقصون عليه أخبار القلعة والنسور، وهو ينصت إليهم في انتباه شديد. ثم قال: مما يؤسف له أنكم تقيمون على بعد نحو عشرين كيلومتراً من هنا، وأنى مضطر إلى البقاء في هذه الناحية بعض

الوقت. ولكني إذا سنحت لي فرصة فسآتي لزيارتكم. وإذا أمكنكم أن تستضيفوني يوماً أو يومين فسأذهب معكم لأرى القلعة والنسور.

وصاح الجميع: نعم!! نعم!! إننا نرحب بك ونرجو أن تأتي في أي وقت، وستجدنا....

فقال سمير: قد أستطيع أن آتِيَ معكم فى الأسبوع القادم فإني أتوقع ألا يكون لدى فيه عمل كثير، وأبلغوا والدتكم تحياتي واحتراماتي.

وقال أسامة: لقد حان وقت انصرافنا حتى نستطيع أن نشترى بعض حاجاتنا قبل أن يحين موعد القطار.

فقال سمير: إلى اللقاء!

٤- طريف في القلعة وحده

عندما أخبر الأطفال والدتهم بمقابلتهم لسمير عن طريق الصدفة سرت جداً، فقد كان شعورها طيباً نحو سمير لأنه ساعد أطفالها وأنقذهم من الأخطار التي تعرضوا لها عندما وقعوا في قبضة مزيفي النقود في مغامرتهم السابقة فى الجزيرة الغامضة. وقالت لهم: إذا جاء هنا فسنسْتَضِيفه على الرحب والسعة، وإنني أعتقد أنه يحيا حياة مثيرة في مطاردة المجرمين والأشرار.

وقالت أنسام: لو أن الرجل الشرير صاحب القلعة التي قصت نوارة قصته علينا ما زال حياً لأخبرنا سميراً بأمره حتى يأتي ويقبض عليه.

وفى اليوم التالي كان الجو لطيفاً، وكانت الشمس تغمر القلعة والتل بأشعتها والحرارة ليست شديدة.... وقال أسامة لطريف: سنأتي جميعاً معك اليوم لنساعدك على حمل حاجاتك. فستحتاج إلى مقدار كبير من الطعام، وبعض الشموع، ولا تستغنى عن أخذ بطاريتك. أن تأخذ معك غطاء خفيفاً، فقد تشتد الريح في الليل فوق قمة التل!

وقالت إلهام: ولا تنس آلة التصوير والأفلام.

وقرر الجميع أن يقضوا اليوم كله في القلعة مرة أخرى، ويتركوا طريفاً وحده هناك عندما يعودون في المساء.

وانطلق الأطفال في طريقهم يصعدون في التل ونسمة من الهواء البارد تهب عليهم فتخفف من حرارة الشمس، والثعلب فهد يجرى خلف أسامة، واستقرت كيكي على كتف طريف، وقد قرر أن يحتفظ بها معه لتؤنس وحدته، ولأن النسور لم تكن تأبه لها ومن المحتمل أن تصادِقها فيستطيع التقاط صور نادرة لهما.. ووصل الأطفال إلى القلعة ودخلوها عن طريق النافذة كما فعلوا من قبل، وظهر فهد فجأة فى الفناء من مكان ما، ولكن أحداً الأطفال لم يستطع

تحديد هذا المكان. وطارت كيكي إلى الصخور التي بنت عليها النسور عشها، وأخذت تصيح مقلدة صيحات النسور، كأنما تقصد بذلك أن تحييها ودهش النسران فطارا فى الهواء وعندما رأيا ذلك الطائر المتكلم الغريب أخذا يدوران حوله، وكان من الواضح جداً أنهما لا يكترثان لها، وربما كانا يعدانها نوعاً غريباً من النسور، لأنها تتكلَّم لغتهما. وعندما وجد طريف أن النسرين قد ابتعدا أسرع يتسلق الصخور حتى وصل إلى العش فوجد فرخ النسر قد أنشب مخالبة في أرنب ميت أحضرته أمه له، فلما أحس فرخ النسر بطريف فرد جناحيه يظلل بهما الفريسة، وكأنه يخشى أن ينتزعها طريف منه. فقال له طريف: لا تخف!! إنني لا أريد فريستك، وإنما أُريدُ صورتك.

وبحث طريف عن مكان يصلح مخبأً له، فوجد مجموعة من النباتات المتسلقة والشجيرات تُظلل صخرة مسطحة أمام عش النسور، فهيأ لنفسه مكانا في وسطها يستطيع أن يرى منه النسور ولا تراه.

وبعد أن انتهى من ذلك هبط في الصخور وانضم إلى إخوته. وصعد الجميع إلى برج القلعة حيث تناولوا طعامهم وهم يمتعون أنفسهم

بمنظر الريف الجميل الممتد أمامهم. وقال أسامة: عندما يأتي سمير لزيارتنا يجب أن نأتي إلى هنا ليرى هذه المناظر الخلابة.

وسألت أنسام طريفاً: هل فكرت في المكان الذي ستنام فيه؟ وهل ستلوح لنا بمنديلك قبل أن تذهب للنوم؟

فقال طريف سألوح: بقميصي، فإنك لا تستطيعين أن ترى المنديل الصغير. ويمكنك أن تستعيني بنظارتي المعظمة، فهي في المنزل

وقالت إلهام: ألا تظن أنك ستشعر بالوحدة؟

فقال طريف: لا يشعر أحد بالوحدة ومعه مثل هذه الببغاء الثرثارة.

وسألت أنسام طريفاً: وفى أي مكان نويت أن تنام هذه الليلة؟

فقال وهو يشير إلى مكان رملي فى أحد جوانب الفناء: سأنام في هذا الركن فإني أفضله على النوم في تلك الحجرات المظلمة، ذاتِ الأثاث العتيق التي تملؤها العناكب.

وكان الأطفال قد قضوا فترة طويلة يفتشون جوانب القلعة، ويبحثون كل ركن فيها لعلهم يهتدون إلى المكان الذي يدخل ويخرج منه فهد، ولكنهم لم يهتدوا إلى شيء، ولم يجدوا حجرات مفروشة سوى حجرة الاستقبال وحجرة الطعام. فقال أسامة: من المؤسف أننا لم نجد

غرفة النوم، ولو قد وجدناها لاستطاع طريف أن يقضى ليلته فيها. والآن هيا بنا فقد حان وقت العودة.

وذهب الجميع إلى النافذة التي يستند إليها لوح الخشب، وأخذوا يعبرونه واحداً بعد واحد.. وأمسك طريف بالثعلب الصغير فهد. حتى إذا عبر الجميع لوح الخشب خرج من الغرفة وهو ما زال ممسكاً فهدا وفهد يحاول التخلص من قبضته. ونزل طريف إلى الردهة المظلمة وخرج منها إلى الفناء، ثم ترك فهداً وهو يقول: والآن أرنى المكان الذي ستخرج منه!

أما فهد فإنه انطلق كالبرق، واندفع طريف خلفه، ولكنه لم يكد يخطو بضع خطوات حتى كان فهد قد اختفى وتركه مغيظاً.. وذهب طريف إلى مَخْبَئِه الذي أعده وسط الشجيرات والنباتات المتسلقة وزحف داخلاً فيه. وأخذ يعد آلة التصوير ويثبتها على الحامل ذي الأرجل الثلاث بعد أن هيأ فتحةً مناسبةً خلال الأفرع أمام عدستها المصوبة إلى عش النسر. وكانت كيكي تواليه بإرشاداتها وتنصحه من حين لآخر أن يضع البراد على النار وأن يفتح كتابه صفحة ٠٦.. ووجد طريف أن ضوء الشمس لم يعد كافياً لالتقاط الصور، فآثر إرجاء ذلك إلى الصباح، ورأى فرخ النسر مقدمة آلة التصوير وهى

تطل من بين فروع الشجيرات فأجفل ونزل عن حافة العش إلى داخله. فقال طريف: ستعتاد رؤيتها بعد قليل، وأرجو أن يعتاد رؤيتها النسران الكبيران أيضاً.

وأخذ طريف يزحف خارجاً من محبيه، وقال لكيكي: أكان لا بد أن تدخلي خلفي هنا والمكان لا يكاد يتسع لي!

وخرج طريف من مكمنه وأخذ يتسلق الصخور هابطاً إلى الفناء بعد أن ترك آلة التصوير مثبتة فى مكانها على أتم استعداد للعمل في أية لحظة.. ثم أمضى بعض الوقت في قراءة قصة قصيرة كانت معه، ولم تلبث الشمس أن مالت للمغيب، فتذكر أنه سيلوح لإخوته بقميصه، فأسرع إلى قمة البرج وخلع قميصه وأخذ يلوح به وهو ينظر إلى منزله، وعندئذ رأى شيئاً أبيض يروح ويجي أمام إحدى نوافذ المنزل العلوية، وكانت هذه الإشارة رداً على إشارته

٥ - أصوات في الليل

هبط طريف سلم القلعة إلى الردهة المظلمة، ثم خرج إلى الفناء فسمع جلبة خفيفة، ولكنه لم يجد شيئاً. فقال في نفسه: لقد بدأت الأرانب البرية تخرج من جحورها وقد أخافها قدومي، ولا بد أن

هنا مئات منها.. سأذهب إلى ذلك الركن وأقبعُ هناك في سكون حتى أراها وهى تخرج، والزمي الصمت يا كيكي حتى لا تخيفيها.

واستاق طريف في الركن الذي اختاره، ولم تمض لحظات حتى بدأت الأرانب تخرج من جحورها، وكان منظرها رائعاً فبعضها أبيض وبعضها أسود. وفى الوقت الذي كان بعضها هادئاً فيه يقرض بعض الحشائش هنا وهناك، كان بعض آخر يتواثب بجنون في جميع أنحاء الفناء، وظل طريف في مكانه يلتهم بعض الحلوى ويمتع نفسه بمرأى الأرانب، وقال فى نفسه: لا بدَّ أن النسور تصطاد بعضها كل يوم.

وشعر طريف بالنعاس يداعب جفنيه، فجذب الغطاء حوله وهو يقول لكيكي: ابتعدي عنى قليلاً فإنك تنشبين مخالبك في عنقي فابحثي لك عن مكان آخر تنامين فيه.

وقبل أن تتحرك كيكي من مكانها كان طريف قد استغرق في النوم.. وزادت جرأة الأرانب وأقبلت تتواثب قريباً من الصبي النائم. ومضى الوقت وبزغ القمر. واستيقظ طريف فجأة دون أن يدرى السبب، وفتح عينيه ورأى السماء فوقه، ومضت لحظة أو لحظتان وهو لا يدرى أين هو، فقد كان المعتاد أن يرى سقف حجرته عندما يستيقظ، ولكنه الآن يرى النجوم والقمر. ثم تذكر كل شيء فجأة وأنه فى القلعة القديمة وقال في نفسه متسائلاً: يا ترى! ما الذي أيقظني؟! أحدثت جلبة أيقظتني؟ أم وثب أرنب فوقى؟

وأخذ طريف ينصت بانتباه لعله يسمع شيئاً، ولكنه لم يسمع سوى بومة تنعق عن بعد. ونظر إلى أعلى نحو البرج الذي كان يشير من أعلاه إلى إخوته، وتجمدت أطرافه من الدهشة، فقد رأى ضوءاً يومض من أعلى البرج! وأخذ يحدق بانتباه في انتظار رؤية الضوء مرة أخرى، ولكن الضوء لم يظهر ثانية، وخيل لطريف أن ومضة الضوء كانت صادرة عن بطارية. وأخذ يفكر ... هل كان ما رآه ضوءاً؟؟!! هل صعد أحد إلى البرج فأيقظه وقع أقدامه؟! وهل هناك أحد في القلعة؟

وبدأ طريف يشك في أن ما رآه كان ومضة من ضوء، ثم قرر أنه من الجبن أن يظل في مكانه لا يجسر على استطلاع الأمر، فنهض واقفاً، وبعد أن أمر كيكي بالهدوء، اجتاز الفناء، ودلف إلى القلعة بحذر وهو يغطى ضوء بطاريته بيده حتى لا ينبعث عنها ضوء شديد يراه من قد يكون فى القلعة، وقال في نفسه: إنني لا أشعر بشجاعة شديدة. ولكنى أظن أن الشجاع هو من يقوم بعمل مخيف. فلأتقدم لأرى ما يحدث!

وكانت الردهة الواسعة خالية، فسار بحذاء حائط الردهة فى حذر حتى وصل إلى السلم المؤدى إلى البرج. وتردد برهة في الصعود إليه. فإذا كان هناك أحد في البرج فلا ريب أنه لم يأت لغرض طيب! واستجمع طريف شجاعته وتسلل صاعداً في السلم حتى وصل إلى الحجرة التي في البرج، ولكنها كانت خالية، فتابع الصعود في السلم إلى سطح البرج، وكان ضوء القمر يغمر المكان إلا أنه لم يكن هناك أحد أيضاً. فقال في نفسه: يا لحماقتي! لقد تخيلت أشياء لا وجود لها، ويحسن بي أن أعود للنوم ثانية.

ونزل طريف في السلم فلما وصل إلى الردهة سمع صوتاً عن بعد فوقف في مكانه ينصت، ثم تبين صوتاً كصوت المضخة ...! يا ترى! هل هناك أحد في المطبخ؟

وشعر طريف بالخوف يسرى فى جسده، وتمنى لو أن إخوته كانوا معه. ووقف فى مكانه ساكنًا، ثم غلبه الخوف فأسرع بالفرار من الردهة، وخرج إلى الفناء الذي ينيره ضوء القمر وهو يحرص على أن يسير في ظلال القلعة. ثم توقف طريف عن الفرار وقال لنفسه: لماذا أهرب؟؟! إن هذا ليس من الشجاعة في شيء!! ولكي أثبت لنفسي أنى لست جبانا سأدخل إلى القلعة ثانية، وأذهب إلى المطبخ، وأرى من هناك !!!

وعاد ثانية إلى القلعة المظلمة وهو يَسْتَرِقُ الخطى، ووقف خلف باب الردهة يصيخ السمع، ولكن الهدوء كان يغمر المكان، ولم يكن هناك صوت المضخة، وكان يبدو أن المطبخ خال. فقال طريف في نفسه: سأرسل من بطاريتي ومضة خاطفة في أنحاء المطبخ، فإذا كان هناك أحد جريت بسرعة إلى الخارج.

وسلط طريف بطاريته نحو المضخة، ونظر ... فلم يكن هناك أحد. وأدار الضوء في أرجاء المطبخ، ولكنه كان خالياً. فتنهد طريف بارتياح، وقال محدثاً كيكي فى همس: لم يكن ذلك الصوت الذي سمعته إلا من نسيج خيالي.

وتقدم نحو المضخة، فوجد بعض الماء بجانبها، ولم يستطع أن يعرف ما إذا كان الماء قد وجد حديثاً أو هو من أثر استعماله المضخة

مع إخوته!! وأخذ يفحص المضخة فلم يستدل على شيء. وقال في نفسه: لا بد أنى تخيلت ذلك الضوء، وتخيلت صوت المضخة!

وعاد إلى مكانه في الفناء ليواصل نومه، ولكنه لم يستطع أن ينام، وظل مستلقيا في مكانه وقد صمم على ألا يغادره لأى سبب من الأسباب، وزايله الخوف، إلا أنه شعر بضيق شديد لعدم استطاعته النوم. وظل مسهداً يفكر فى نسوره وكيف يلتقط صورها في اليوم التالي!! وتمنى لو كان إخوته قد قضوا الليل معه، ولو أنهم فعلوا لأخبرهم بما رأى وسمع. وعندما لاح الفجر استغرق طريف فى النوم، فلم ير الشمس وهي تشرق ولم ير النسور عندما حلقت فى السماء المرة الأولى في ذلك الصباح، بل ظل نائماً حتى صاح أحد النسور صيحته الهائلة فردت عليه كيكي تقلده، فاستيقظ طريف فزعاً وفتح عينيه ثم جلس قائلاً: إني أشعر بالجوع يا كيكي! هل تذكرين ما حدث أثناء الليل؟؟ لقد أزعجنا أنفسنا من غير سبب، ولا شك أنى استسلمت لأوهامي! أما الآن وفى وضح النهار فإن هذه التخيلات تبدو حماقة شنيعة، وأرى أنه من الأفضل ألا نذكر شيئاً من ذلك لإخوتي عندما يأتون وإلا ضحكوا منا وسخروا من سذاجتنا.

وبدا أن كيكي توافق على كل ما قاله طريف. وأخرج طريف

بعض الشطائر والحلوى لإفطاره هو وكيكي وقال لها: يا ترى يأتي أسامة والباقون! أرى أن نحاول التقاط بعض الصور قبل مجيئهم. أليس كذلك يا كيكي؟

٦ - طريف يتلقى صدمة

بعد أن انتهى طريف من تناول طعامه صعد إلى تخبيه، ونظر من بين فروع الشجيرات فلم يجد سوى فرخ النسر في العش، وكان نائماً أما النسران الكبيران فلم يكونا هناك، وربما كانا يحلقان في السماء على ارتفاع شاهق. وقال طريف فى نفسه: سأنتظر حتى يستيقظ هذا النسر الصغير، وعندئذ ألتقط له بعض الصور.

وظل طريف في مكانه ... وكان الانتظار مملاً، ولكن لم يلبث النسر الصغير أن استيقظ ونشر جناحيه، ثم صعد إلى حافة العش ينتظر والديه. فأسرع طريف والتقط صورته. وسمع النسر الصغير صوت الآلة فهبط إلى قاع العش مسرعاً، ثم ما لبث أن تغلب على خوفه وعاد إلى حافة العش ... وبعد قليل وصل النسران الكبيران وقد حمل أحدهما أرنباً في مخالبه ثم ألقى به فى العش فانقض عليه النسر الصغير وقد نشر جناحيه، وبدأ يمزقه بمنقاره. فالتقط طريف صورة أخرى له. وسمعت النسور الثلاثة صوت الآلة فالتفتت ناحيتها وهى

تحملق فيها بعيونها الحادة، ولكن كيكي أنقدت الموقف عندما أقبلت تقلد صيحات النسور التي بدا أنها سرت لمرأى الببغاء ... والنسر الصغير نشر جناحيه على فريسته كأنما يحميها من كيكي، ومضى يلتهمها حتى شبع ثم عاد إلى داخل العش. ثم أكملت أنثى النسر التهام الأرنب، والتقط طريف صورتها، والتفتت النسور إلى جهة آلة التصوير، ولكنها لم تبد اهتماماً، فكأنها ألفت الصوت. فاطمأن طريف. وفجأة أطلقت كيكي صيحة عالية، وشاهدها طريف تندفع طائرة فى الهواء ثم تختفى وراء جدار القلعة.... وعجب طريف وبدأ يحدث نفسه ... أين ذهبت كيكي؟؟ وبعد نصف ساعة رجعت كيكي فوق كتف نوارة، والذي حدث هو أن كيكي سمعت صوت الأطفال وهم قادمون، فانطلقت تستقبلهم. وأقبل الأطفال يبحثون عن طريف فأزعجت أصواتهم النسرين الكبيرين فطارا، وحلقا في الفضاء العالي. ونزل طريف إليهم. وقال أسامة: لقد أحضرنا بعض الطعام اللذيذ. فأين تريدون أن تأكلوا؟

فقال طريف: فلنأكل هنا. لأني أريد التقاط بعض الصور. وأغلب ظني أن النسرين سيعلمان فرحهما الطيران قريباً، فقد رأيت أنثى النسر في هذا الصباح تحاول دفعه عن حافة العش.

وقالت نوارة: لقد جاءت كيكي لتقابلنا ونحن نصعد في التل لقد تركنا فهداً في الخارج ... إنه قد أقبل · هل عرفت أمس المكان الذي خرج منه؟

فقال طريف: لا! لقد أسرع بالاختفاء قبل أن أتمكن من اللحاق به، ولا شك أنه يستخدم أحد جُحُور الأرانب. وأنا أتوقع أنه لن يستطيع أن يستخدم هذا الطريق عندما يكبر.

وقال أسامة: كيف قضيت ليلتك؟

وكان طريف قد صمم على ألا يذكر شيئاً عن حوادث الليلة الماضية فقال: لقد قضيت ليلة طيبة، ولكنى استيقظتُ مرة في أثناء الليل ولم أستطع أن أنام بعد ذلك. ولو أنك رأيت مئات الأرانب وهى تتواثب هنا لأعجبت بها جداً.

وقالت إلهام: ألم تفكر فى أن تأتي معنا إلى المنزل؟

وكان طريف يود أن يعود، ولكنه قال: لا، فإني أتوقع أن يبدأ النسر الصغير فى تعلم الطيران قريباً.

وعندما حان وقت الانصراف نهض أسامة وقال: هيا بنا قبل أن تظلم الدنيا!

ودخل الجميع إلى القلعة، وذهبوا إلى الحجرة التي يدخلون من خلال نافذتها، وأخذوا يعبرون اللوح الخشبي واحداً بعد واحد.. وقبل

أن يهبطوا في الصخرة تذكرت أنسام شيئاً فصاحت تقول لطريف: لقد رأيت قميصك وأنت تلوح به أمس. وقد قضيت مدة طويلة وأنا مستيقظة فى فراشي، فرأيتك تضئ بطاريتك في أثناء الليل. وقد سررت عندما رأيت ضوء بطاريتك نحو ثلاث مرات أو أربع...

وصاحت إلهام: هيا يا أنسام وإلا تأخرنا.

وهبط الجميع بعد أن حيوا طريفاً، ومضوا في طريقهم، وتركوه وقد ازداد قلقه بعد الكلام الذي قالته أنسام ... إذا فهو لم يتوهم رؤية الضوء!! فقد رأته أنسام أيضاً!! ولا شك أن صوت المِضَخَةِ كان حقيقياً!! وتمنى طريف لو أنه أخبر إخوته بالأمر، أو أنه عاد معهم... قد ضاعت الفرصة!! وفكر فيما يجب أن يفعله إذا سمع الأصوات مرة أخرى فى هذه الليلة!! ثم خطر له أن يسرع باللحاق بإخوته، ولكنه ما لبث أن قال: يجب أن أنتظر وأحاول أن أكشف حقيقة الأمر.. إنني مسرور لأن أنسام أخبرتني بما رأت.

٧ - الحجرة السرية.

عاد طريف إلى فناء القلعة وهو يفكر ... هل يظل مستيقظاً وينام فيما بعد؟! هل ينام فى مخبئه فوق الصخور؟! وأخير استقر رأيه على أن ينام في ذلك المخبأ، فإن أحداً لن يفكر أنه يستطيع أي إنسان أن

يختبئ فى ذلك المكان. وزحف طريف إلى داخل المخبأ واستعد للنوم ودخلت كيكي معه، واتخذت لنفسها مكانا فوق كتفيه. وظل طريف مستيقظاً يفكر فى أمر تلك الإشارات الضوئية التي رأتها أنسام، وفى صوت المضخّة الذي سمعه هو. وأخيرا غلبه النعاس فنام. وظل نائماً حتى انتصف الليل ثم استيقظ فجأة، وهو يشعر بتعب شديد من جراء النوم فى مكان غير مريح. ونظر طريف إلى ساعته الفوسفورية المضيئة، فلما تبين الوقت قال لنفسه: هذا هو نفس الموعد الذي حدثت فيه الأصوات أمس. يجب أن أترك مكاني إذا أردت أن أكشف ما يحدث !

وزحف طريف خارجا من مخبئه، فاستيقظت كيكي وصاحت محتجة، ولكنه أمرها بالسكوت فلزمت الصمت. وأخذ طريف يتزحلق فوق الصخور هابطاً وكان القمر قد كبر عن الليلة السابقة، ونوره يضئ له الطريق، فلما وصل إلى الفناء وقف يصيخ السمع، ولكنه لم يسمع شيئاً فى أول الأمر. ثم وصل إلى سمعه صوت خافت، فأنصت يتبيَّنه، وما لبث أن تأكد أنه صوت المضخة وهى تعمل. ثم انقضت فترة سكون وسمع صوت وقع أقدام تسير بهدوء فوق سطح حجري ...
فتساءل: يا ترى هل هناك من يسير فوق سور القلعة متجهاً إلى البرج ليرسل الإشارات الضوئية؟

وسار طريف محتمياً بظلال القلعة حتى وصل إلى الباب، فدخل في الردهة وقد تغلب حماسه على مخاوفه. ولفت نظره في الحال أن هناك ضوءاً فى الردهة. ولكن أين مصدرُ الضوء؟؟! ونظر طريف حوله فلم ير مصدر الضوء.. وفجأةً كشف أن الضوء صادر عن الأرض!!! أو على الأصح من مكان تحت الأرض!! وتقدم بحذر إلى الأمام فرأى فتحةً فى أرض الردهة، ولم يكن لتلك الفتحة باب، بل كانت مجرد فتحة فى أرض الردهة. وكان طريف واثقاً أن هذه الفتحة لم تكن موجودةً قبل ذلك، ومن هذه الفتحة كان ينبعث الضوء. ونظر طريف داخل الفتحة فرأى سلماً يهبط إلى جوفها، فأسرع إلى فناء القلعة ونظر إلى البرج فرأى إشارات ضوئية تصدر عن البرج، فقال لنفسه: أمامي بضع دقائق قبل أن يعود الشخص الذي يرسل الإشاراتِ الضوئية!

وانطلق ينحدر في الدرج مسرعاً، فألقى نفسه في حجرة فسيحة جداً، ولكنه وقف مشدوهاً فقد كانت أشبه بمتحف للآثار فالحوائط مغطاة بالسجاجيد، وحول الحجرة حلل كاملة من الحديد الذي كان يلبسه الفرسان فيما مضى، وكانت هناك مائدة طويلة عليها بعض الأطباق والأكواب، وكان من الواضح أن هذه الحجرة ليست مهملة بالرغم من قدم أثاثها، فلم يكن بها أتربة أو نسيج عنكبوت. وفي ركن

الحجرة أقيم سرير عتيق ضخم ذو أربعة أعمدة تتدلى حولها ستائر سميكة جداً...! وتقدم منه طريف فتبين له أن شخصاً كان ينام فيه. ورأى وعاء ماء فأدرك سبب وجود سبب وجود بركة الماء دائما بجانب المضخة. وسمع طريف صوتاً فأسرع نحو السلم ومعه كيكي فصعد بسرعة، وخشى أن يعبر الردهة إلى الفناء فيراه الشخص الذي كان ينزل على السلم فى ضوء بطاريته، فأسرع يدخل إلى إحدى الغرف وكانت غرفة الاستقبال. وتعثر فى مقعد صغير فسقط محدثاً جلبة. وفى الحال توقفت الخطوات خارج الغرفة، وانطفأ نور البطارية. وكان من الواضح أن الرجل الذي يقف في الخارج ينصت بكل حواسه بعد أن سمع صوت سقوط طريف. وسمع طريف صوت خطوات حذرة تقترب من الحجرة فأسرع يختفى خلف إحدى الأرائك ... وسمع طريف الخطوات تدخل الحجرة بحذر. وكانت كيكي تشعر برهبة الموقف، ولكنهما لم تحتملها، فطارت عن كتف طريف وهى تطلق إحدى الصيحات التي تعلمتها من النسور، وانقضت على رأس الرجل فرفع يديه يحمى نفسه فسقطت بطاريته. وتمنى طريف أن تكون البطارية تهشمت. وأطلقت كيكي صيحة أخرى وأعادت الكرة على الرجل الذي استطاع أن ينتزع ريشة من جناحها. وعادت كيكي إلى كتف طريف وهى تزمجر مقلدة صوت الكلب.. وقال الرجل بصوت

أجش: إن هذا المكان قد أصبح مملوءاً بالطيور والكلاب!! ولكن ما الذي أدخل هذه النسور هنا؟

وتحسس الرجل الأرض بحثاً عن بطاريته ثم قال: لقـــد انكسرت!

وخرج الرجل من الحجرة. وبعد قليل سمع طريف صوت احتكاك غريب، ثم ساد السكون. ولكنه لم يجرؤ على مغادرة مكانه الذي قبع فيه خلف الأريكة القديمة إلا بعد أن مضى وقت طويل. فخرج في هدوء إلى الردهة، ولكن الفتحة المؤدية إلى تلك الحجرة السرية التي تشبه المتحف لم تكن موجودة فقد عادت أرض الردهة كما كانت. وقال طريف لنفسه: ربما كانت هذه الحجرة هي نفسها التي كان يسجن فيها الرجل الشرير ضيوفه، ويتركهم يموتون من الجوع.

وأسرع طريف إلى مخبئه، ودلف إليه ومعه كيكي، وحاول أن ينام، ولكنه لم ينم، فقد أبى النوم أن يزور جفنيه. وكان رأسه مليئاً بهذه الحوادث، وتلك الغرفة السرية. وظل يرتعد كلما تذكر كيف كان على وشك الوقوع في قبضة ذلك الرجل لولا كيكي، وتمنى لو أن أسامة وإخوته كانوا معه!! وشعر برغبة شديدة في أن يقص عليهم ما حدث. وكان من الواضح الرجل يختبئ في ذلك المكان لأمر ما، وأنه لا يغادره فى النهار أبداً. وتساءل طريف: إنه يحصل على الماء من المضخة

ليشرَبَ، إذا عطش، ولكن من أين يحصل على الطعام ليأكل إذا جاع.!؟ لعله كان يشير إلى بعض أصدقائه في الليل ليأتوا إليه بالطعام. وإذا كان الأمر كذلك فإنه لابد أن بعض الأشخاص يأتون إلى هنا، فكيف يدخلون؟ حقاً إنها لمغامرة!

وقال طريف: لقد كان أسامة على حق حينما سماها: قلعة المغامرات!

وظل طريف يفكر في تلك الأمور حتى استغرق في النوم. فلما استيقظ كان ضوء النهار يغمر المكان، فسر طريف لمَقْدَم النهار، وخرج من مخبئه وتناول طعام إفطاره من الشطائر التي أحضرها إخوته في

اليوم السابق. وفجأة رأى رجلين يسيران في فناء القلعة مُتجِهَيْنِ إليها!! كيف دخلا إلى الفناء؟! لابد أن هناك طريقاً ما.. أو أنهما يملكان مفتاحاً لأحد البابين الكبيرين؟؟ وتساءل طريف.. يا ترى هل سيخبرهما الرجل المختبئ فى الغرفة السرية بما حدث ليلة الأمس؟! وهل سيأتيان للبحث عن حقيقة الأمر؟

الفصل الثالث

١- بداية الحوادث

دخل طريف مرة أخرى مخبأه مسرعاً، وتذكر أنه قد ترك بعض الأوراق وبقايا طعامه فى الفناء، وخشى أن يعثر الرجلان على هذه الأشياء فيعلما أن فى القلعة أشخاصاً غرباء. وإذ أنهما اختارا هذه القلعة القديمة لكى تكون مخبأً لهما، فإنه لن يسرهما أن يعلما أنه هو وإخوته يأتون إليها. وظل طريف قابعاً في مكانه نحو ساعة وهو لا يدرى.. أيتمنى أن يأتي إخوته على عجل ليكونوا معه، وليبددوا وحشته؟! أم يتمنى أن يتأخروا بعض الوقت حتى ينصرف الرجلان دون أن يرياهم؟! وأخذ يتلهى بمراقبة عُش النسر بين حين وحين.

وبعد مدة سمع طريف أصواتاً، فنظر من خلال الفروع التي تظلل مخبأه فرأى الرجلين يخرجان من القلعة ويعبران الفناء، وكانا ضخمي الجثة، وتبدو عليهما سيماء الأشرار، وكان أحدهما ذا لحية سوداء كثيفة.

وأخذ طريف ينصت لعله يسمع ما يقولان، ولكنهما كانا يتكلمان بلغة غير مفهومة، فزاد الأمر غرابة!! وفجأة توقف الرجلان،

والتقط الرجل الملتحي الأوراق التي تركها طريف ورأى بداخلها فصلات الطعام وكانت لا تزال شبة طَازَجة، فعلم أنها توجد في هذا المكان من وقت قصير. وتحدث الرجلان قليلا ثم عادا إلى القلعة، ورآهما طريف يصعدان إلى سور القلعة يفتشانه ثم يدخلان في الأبراج ويبحثان فيها ... وبعد ذلك خرج الرجلان ثانية إلى الفناء، وتوجها نحو الصخور التي يقبع فوقها طريف وعش النسر وبه الفرخ الصغير.

انهما سيفتشانها. فانكمش طريف فى مكانه وأخذ الرجلان يتسلقان الصخور على وصلا إلى عش النسر وبه الفرخ الصغير، فدهشا جداً ومد أحد الرجلين يده نحوه العش، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً. فقد رأت أنثى النسر الرجلين وهما يقتربان من العش فانقضت كالصاعقة من ارتفاع شاهق، وأنشبت منقارها ومخالبها في الرجل الملتحي، فرفع يده ليحمي نفسه، وحاول الرجل الآخر أن يضربها لينقذ زميله، وكان قد رفع وجهه يراقب ذكر النسر وهو مندفع كالسهم ليشترك في المعركة.

وادرك طريف أن أمامه فرصة نادرة فأسرع يلتقط صورة المعركة، وقد بدا وجه الرجل فيها واضحاً. ودار النسران في الهواء ليعاودا الكرة على الرجلين، ولكن الرجلين أسرعا يهبطان في الصخور وقد

اقتنعا أنه من المستحيل أن يكون هناك من يختبئ فوقها، لوجود هذه النسور الهائلة.

وظل طريف في مكانه يراقب النسور، وسرعان ما أدرك من حركات النسرين الكبيرين أنهما قد اعتزما تدريب فرخهما على الطيران مادام العش قد تعرض لتهجم هذه المخلوقات التي تسير على رجلين.

وأخذ النسران يدفعان فَرخَهما حتى أخرجاه من العش، ووقف على حافة الصخرة، ولكنه حاول أن يعود إلى داخل العش، فأخذت أمه تدور حوله وهى تُطلق صيحاتها المدوية. فوقف النسر الصغير ساكناً مدةً، ثم نشر جناحيه فجأةً، وأخذ يحركهما بشدة وقوة وهو يتراقص على أطراف مخالبه، ثم ارتفع فجأة في الهواء ووالداه يطيران حوله، وصيحاتهما تملأ السماء..

وكان طريف خلال ذلك كله يلتقط الصورة تلو الصورة. فأصبح لديه مجموعة نادرة من صور النسور. وفى هذه اللحظة سمع صوت إخوته، فأسرع بالنزول إليهم ودلتهم الانفعالات التي كانت ظاهرة على وجهه أن شيئاً جدياً قد حدث، وقال أسامة: ماذا حدث؟! لقد جئنا بأشياء كثيرة لأننا سنقضى معك بضعة أيام هنا، فقد ذهبت والدتنا لزيارة خالتنا عزيزة لأنها مريضة!

وقالت إلهام: لماذا لا يبدو عليك الحماس لهذه الأنباء؟

وانقضت أنثى النسر كالصاعقة . . وأنشبت منقارها ومخالبها
فى الرجل الملتحى . . .

فقال طريف: لقد كشفت أحداثاً غريبة تجرى هنا!! ومن حيث إني التقطت كل ما أريدُ من الصور فالأفضل أن نعود كلنا إلى المنزل!

فصاح أسامة مستنكراً: نعود إلى المنزل؟! لماذا؟! ماهي هذه الأحداث الغريبة التي تضطرنا إلى العودة إلى المنزل؟! أخبرنا بكل شيء ... تكلم!

فقال طريف: سأخبركم بكل شيء. ولكن لماذا لا أرى نوارة معكم؟

فقالت أنسام: لقد منعتها أمها من المجيء عندما علمت أننا سنمكث معك فى القلعة، فهي تؤمن بما يقوله القرويون عنها، ولذلك جئنا بدونها. دعنا من نوارة وقص علينا ما حدث.

وخطر لطريف أن يكون الرجلان قد انصرفا فسألهم: ألم تصادفوا أحداً يهبط في التل وأنتم في طريقكم إلى هنا؟

فقال أسامة: نعم! لقد خيل إلينا أننا نرى ثلاثة رجال يهبطون فى التل على مَبْعَدَةٍ منا. لماذا هذا السؤال؟

فسأله طريف: كيف كان شكل هؤلاء الرجال؟ هل كانت لأحدهم لحية كثة؟

فقال أسامة: إننا لم نتبينهم جيداً، فقد كانوا بعيدين جداً، وقد ظننا أنهم من الرعاة.

فقال طريف: ثلاثة رجال؟! لا بد أن الرجل الآخر قد ذهب معهما.

ونقد صبر إلهام فصاحت بطريف: عن أي شيء تتحدث؟

فبدأ طريف يقص عليهم كل ما وقع من أحداث، وما شاهده في الغرفة السرية ... وكان إخوته ينصتون إليه باهتمام شديد، فلما انتهى من قصته قالت إلهام: حقاً! لا بد أن أشياء مريبة تحدث هنا. لو أن سميراً كان معنا لعرف كيف يتصرف؟

فقال أسامة: إننا لا نعرف عنوانه. وهذا سوء حظ. وكل ما نعامه هو أنه فى بلدة تبعد عنا نحو عشرين كيلومتراً. كما أن والدتنا قد سافرت، فلا نستطيع أن نسألها النصيحة!

فقال طريف: مهما يكن من أمر فإنني أرى أن نُغَادِرَ هذه القلعة ونعود إلى المنزل، فقد سبق لنا أن تقابلنا مع رجال خطرين، ولست أريد أن نفعل ذلك مرة أخرى، ولا سيما أن معنا إلهام وأنسام،

فقال أسامة: إنني أوافق على رأيك، ولكن إذا كنت تعتقد أن الرجال قد غادروا القلعة الآن فليس ما يمنع من أن نلقي نظرة على تلك الغرفة السرية.

فقال طريف: حسنا! هيا بنا! أين فهد؟

فقال أسامة: لقد تركته مع نوارة لأنها كانت حزينة لعدم مجيئها معنا.

وذهب الجميع إلى ردهة القلعة وهم يضيئون بطاريتهم. وقادهم طريف إلى موضع الفتحة فلم يجدوا فتحة في الأرض. ورأى أسامة قطعة من الحديد بارزة من الحائط فقال: ما هذا؟ وبدأ يجذبها بشدة، وفى الحال انزلقت قطعة الحديد إلى أسفل في مجرى خاص، وسمع الجميع صوت احتكاك ووثبت أنسام فزعة، فقد بدأ جزء من الأرض بجانبها يغوص إلى أسفل، ثم إلى أحد الجوانب، وظهر أمامهم سلم قصير من الحجر. وقالت إلهام: إن هذا يذكرني بقصة علي بابا والأربعين لصاً، أو قصة علاء الدين والمصباح السحري!

ونزل الجميع بسرعة إلى الغرفة، وكان هناك مصباح غازي فوق المائدة يلقي على الغرفة ضوءاً باهتاً. فأخذوا يتطلعون حولهم في دهشة. ثم قال أسامة: أين طريف؟

فقالت أنسام: عاد ليحضر كيكي

وقالت إلهام: هذه قطعة من الحديد تشبه تلك التي فتحت الباب السري! ثم جذبت إلهام قطعة الحديد، وفى الحال انبعث صوت الاحتكاك، وأغلق الباب السري!!

٢- استمرار الحوادث

أخذ الأطفال الثلاثة ينظرون إلى الباب السري وهو يرتد إلى مكانه، وكان منظراً غريباً فريداً في نوعه. وشعر أسامة بالقلق فقال لإلهام: ابتعدي قليلاً حتى أجرب قطعة الحديد هذه، وأرجو أن تفتح الباب ثانية.

وجذب أسامة المقبض الحديدي، ولكن شيئاً لم يحدث. فأخذ يحركه في جميع الاتجاهات، فلم يحدث شيء أيضاً. فقال: إن هذا المقبض يقفل الباب ولا يفتحه، ولا بد أن تكون هناك طريقة لفتحه، وإلا فكيف يخرج الرجل الذي يقيم هنا؟

وشعرت إلهام وأنسام بالخوف يتسلل إلى قلبيهما. وخيل لأنسام أن الحلل الحديدية حولها تحملق فيها وتراقبها، وكأنما سرها أن تراها خائفة. وقالت إلهام: لا داعي للقلق، فسيعود طريف حالاً، وعندما يجد الباب السري مغلقاً يحرك المقبض الذي في الردهة فينفتح الباب.

فقال أسامة: نعم، ولكنك حمقاء لأنك تعبئين بأشياء لا تعرفين حقيقتها أو عملها!

فصاحت إلهام: لو أنك رأيت المقبض أولاً لفعلت مثلما فعلت.

فقالت أنسام: لا يحسن أن نتشاجرا الآن!

وأخذ أسامة يتطلع حوله نحو تلك الحلل الحديدية، وخطرت له فكرة فقال: سأدبِّرُ مقلباً لطريف! فسأرتدى إحدى تلك الحلل وأقف ساكناً بداخلها، حتى إذا فتح طريف الباب السري ونزل إلى هنا فلا تُخْبِرَاهُ بمكاني. وسأنتظر قليلاً، ثم أنزل عن القاعدة التي تقف عليها الحلة وأتقدم منه لأخيفه!

فضحكت الفتاتان وقالتا: حسناً! هيا إذاً وأسرع بالدخول في إحداها.

وقبل أن ينقضي وقت طويل كان أسامة قد أتم ارتداء إحدى الحلل الحديدية، ووضع الخوذة فوق رأسه وعاد يقف فوق القاعدة الخشبية محدثاً قمقمة كبيرة وأخذت الفتاتان تنظران إليه وتضحكان، فقد كان لا يفترق عن بقية الحلل الواقفة حول الغرفة، ولم يكن الناظر إليه يستطيع أن يعرف أن أحداً يقف في داخل الحلة! وكان أسامة يرى كل ما يحدث فى الحجرة. وأخذت الفتاتان تَمْشِيَانِ في الغرفة الفسيحة. وقالت إلهام لأسامة: هل أنت مرتاح؟

فقال: مرتاح بعض الراحة. وإني لأعجب كيف كان الجنود القدماء يحاربون وهم يلبسون هذه الحلل الثقيلة !!

وانقضى بعض الوقت ثم قالت أنسام: لماذا لم يعد طريف حتى الآن؟! هل عاد الرجال وقبضوا عليه؟!

وكانت إلهام قد بدأت تشعر بالقلق فقالت: إنني لا أستطيع تقدير سبب التأخير، فقد ذهب لينادي كيكي ثم يلحق بنا.

ووصل إلى سمع الفتاتين صوت أسامة من خلف قناعه الحديدي قائلاً: إنني أعتقد أن الرجال الذين رأيناهم يهبطون في التل ليسوا نفس الرجال الذين رآهم طريف هنا في القلعة؟

فصاحت الفتاتان في جزع: ماذا تعنى؟

فقال: لقد فكرت فى الأمر ووجدت أن الرجال كانوا يسيرون فى مكان بعيد جداً عن هنا بالقرب من العزبة. ثم إنه لا يوجد في ذلك المكان طريق يؤدى إلى القلعة!! وقد تذكرت أن أحد الرجال كان طويلاً جداً، كذلك الرجل الذي رأيناه كثيراً عندما كنا نذهب لشراء البيض من العزبة.

فقالت أنسام فزعة: إنك على صواب. ولو كانوا هم رجال القلعة المختفين عن الناس لما ذهبوا إلى العزبة حتى لا تنبحهم الكلابُ فيخرج رجال العزبة إليهم.

وقال أسامة: إننا لم نسمع كلاباً تنبح، وهذا يؤيد نظريتي ولا بد أن الرجال الثلاثة كانوا في مكان ما من القلعة.

وقال إلهام: يا ترى ماذا يفعل طريف الآن؟

وكان طريف قد تأخر كثيراً، ولكن تأخره كان على الرغم منه، فقد عاد ليحضر كيكي التي طارت إلى داخل الغرفة التي اختبأ فيها الليلة الماضية. ومن خلال نافذة الغرفة رأى الرجال الثلاثة يقفون في أحد أركان الفناء، فقال فى نفسه: إذا لم يكن الرجال الذين رآهم أسامة سوى عمال المزرعة! واندفع إلى الردهة ليحذر إخوته، ولكنه وقف مَشْدُوها أمام الباب السري الذي كان مغلقا، فلم يكن يعلم أن إلهام قد جذبت المقبض فى الغرفة السرية فانقفل الباب. وحار طريف ... هل يستطيع فتح الباب قبل أن يعود الرجال؟ ثم سمع طريف صوت الرجال يقترب فعاد مسرعاً إلى الغرفة وذهب إلى النافذة واختبأ خلف الستارة..

ورأى الرجال قادمين نحو القلعة وهم يحملون الأشياء التي أحضرها إخوته في هذا الصباح، ووضع الرجال الأشياء أمام الباب وهم يتكلمون، ولكن طريفاً لم يفهم كلمة واحدة من لغتهم. وقال في نفسه: لا بد لنا من مغادرة هذه القلعة على عجل، وكم، أود لو أستطيع إخراج إخوتي والذهاب بهم إلى الغرفة التي بها لوح الخشب.

ورأى طريف رجلين من الثلاثة يدخلان إلى القلعة ليقوما بتفتيشها بدقة، وبقى الثالث أمام الباب يجذب أنفاس لفافته بعصبية

وهو يراقب الفناء. وكان من المستحيل أن يحاول طريف فتح الباب السري لأن الرجل الواقف بالباب سيراه ويسمعه. وظل واقفاً في مخبئه خلف الستارة وهو يتمنى لو تتاح له فرصة فتح الباب السري بنفسه قبل أن يفتحه أحد الرجال. وتمنى أيضاً لو أن سميراً كان معه!! إذاً لاستطاع الخروج من هذا المأزق!! وانتهى الرجل من تدخين لفافته، فأخرج قطعة نقود معدنية من جيبه وأطفأ عليها اللفافة ثم وضعها في علبة صغيرة أخرجها من جيبه، ثم أعادها إلى مكانها، وكذلك أعاد قطعة النقود. وكان من الواضح أن الرجل لا يريد أن يترك أي أثر ينم على وجود إنسان فى القلعة. واستدار الرجل ودخل القلعة. وأسرع طريف في هدوء إلى باب الغرفة ونظر من خلال أحد الشقوق فرأى الرجل يذهب إلى جدار الردهة ويجذب المقبض الحديدي فينفتح الباب السري محدثاً صوت احتكاك خفيف. وكاد قلب طريف يقف عن الخفقان . . . يا ترى!! ماذا سيحدث؟! وسمع الأطفال الثلاثة صوت انفتاح الباب السري، فنظرت إلهام وأنسام إليه كما حاول أسامة ذلك أيضاً وهم يتوقعون رؤية طريف، ولكنهم فزعوا عندما رأوا رجلا قبيحاً وقف ينظر إليهم بحدة. وأخذت الفتاتان تحملقان في رهبة إلى أنفه الضخم وعينيه الضيقتين وحاجبيه المشعثين. وصاح الرجل: ما معنى هذا؟ أتأتيان إلى القلعة وتدخلان إلى حجرتي؟

وبدأت أنسام تبكي، وود طريف لو يدفع الرجل فيسقطه من فوق السلم!! ولكنه سمع صوت أقدام الرجلين الآخرين، وكذلك سمعه الرجل، فصعد بضع درجات وناداها بلغة لم يفهمها الأطفال، وانتهز أسامة ـ وكان لا يزال داخل الحلة الحديدية - الفرصة وهمس للفتاتين: لا تخافا!!! ولا تَذكُرًا لهم شيئاً عنى أو عن طريف حتى نستطيع النجاة من هنا، وأخبراهم أنكما قدمتا وحدكما لمشاهدة القلعة.

ولم يستطع أسامة أن يقول شيئاً أكثر من ذلك؛ لأن الرجال أقبلوا في تلك اللحظة، وكان أحدهم الرجل ذا اللحية الكثة. ولكن ذلك الرجل ذا الحاجبين المشعثين كان أقبح الثلاثة. وعادت أنسام تبكى وقال الرجل الأشعث الحاجبين: والآن أخبرانا لماذا جئتما وإلا ندمتما ندماً شديداً

٣ - سجناء في القلعة

استجمعت إلهام شجاعتها حتى لا يبدو الخوف في نبرات صوتها وقالت: لقد جئنا لنلقي نظرة على القلعة، ولم نكن نعلم أنكم أصحابها !

فسألها الرجل ذو اللحية: وكيف عثرتما على هذه الحجرة؟

فأجابت إلهام: عثرنا عليها بمحض الصدفة. إننا بنتان صغيرتان ولا نقصد أن نسيء إليكم!

فسألها الرجل الأشعث الحاجبين: هل هناك أحد خارج القلعة يعلم بوجودكم هنا أو يعلم بأمر هذه الحجرة؟

فقالت إلهام: لا! إننا لم نركم إلا هذه اللحظة، ولم تجد هذه الغرفة إلا اليوم. أرجو أن تدعونا نتصرف!

فقال الرجل: أعتقد أنكما جئتما إلى القلعة قبل اليوم، فقد وجدنا حاجاتكم أيتها المتطفلتان.

فقالت إلهام: إننا لم نكن نعلم أنها قلعتكم. وكيف نعرف ولا أحد يأتي إلى هنا والقرويون يخافونها؟

وسأل الرجل الملتحي بارتياب: هل معكما أحد؟

فقالت إلهام: لا! لقد جئنا وحدنا.

وقال الرجل الثالث لزميله الأشعث: لقد فتشنا القلعة جيداً فلم نجد أحداً.

وقالت إلهام: أرجوكم دعونا ننصرف ونعدكم أننا لن نعود إلى هنا مرة أخرى.

فقال الرجل الملتحي في صوت رهيب: ولكنكما ستذهبان إلى أهلكما وتقصان كل ما رأيتما وسمعتما هنا. لا! لا! بل ستبقيان هنا حتى نفرغ من عملنا، وعندئذ قد نترككما تنصرفان. أقول - قد- وهذا يتوقف على سلوككما.

وشعر أسامة بغضب جامح، ولكنه كبح جماح نفسه حتى لا يزيد الموقف تعقيداً. وقال الرجل الملتحي: إن لدينا بعض الأعمال فاخرجا من هنا، ولا تبتعدا كثيراً لكى تسمعا نداءنا.

وشعرت الفتاتان بفرح شديد عندما تركهما الرجال يصمدان إلى الردهة وحدهما. وعندما أقفل الباب السري قالت إلهام هامسة: هيا بنا نهرب بسرعة حتى نستطيع إرسال النجدة لأسامة. وقالت أنسام: يا ترى أين طريف؟

وكان طريف قد سمع صوت الباب السري وهو يفتح، ثم سمع أختيه تتكلمان، خرج من مخبئه مسرعاً، وهو يقول: هأنذا. فهيا بنا نعبر

اللوح الخشبي فى هذه اللحظة ثم نسرع بالفرار، وعندئذ نرسل من ينقذ أسامة. كفى يا أنسام عن البكاء وهيا بنا.

وأخذ طريف يربت بعطف على كتفي أنسام، وصعد الثلاثة في السلم لكي يذهبوا إلى الحجرة التي يستند إلى نافذتها اللوح الخشبي الذي يستعملونه للدخول والخروج من القلعة، ووصل الأطفال إلى الممر الذي ينتظم حجرات الطابق العلوى، وأسرعوا يعبرون نحو الحجرة. فلما دخلوها أسرعت إلهام إلى النافذة لكى تعبر اللوح الخشبي، ولكنها وقفت مذهولة . . . فلم يكن اللوح الخشبي في مكانه!! وقالت: يبدو أننا أخطأنا الحجرة، فأسرعا لكى نعثر على الحجرة الصحيحة.

وأخذ الثلاثة يدخلون الحجرات واحدة بعد الأخرى، فلم يجدوا الخشب. وقالت إلهام: كأننا في حلم مزعج !

فقال طريف حقا!! إنه كالكابوس!

وقالت أنسام: فلنبدأ بالحجرات جميعاً بالترتيب من أول الممر.

وفعلوا كما اقترحت أنسام حتى وصلوا إلى الغرفة الأخيرة، فتوقفوا. وقال طريف: يبدو أن الرجال قد استولوا على اللوح.

وجلست إلهام على الأرض المتربة وهى تقول: إن ساقى لا تقويان على حملي، وكان يجب أن ندرك أن الرجال لم يسمحوا لي ولا

لأنسام بالخروج من الحجرة إلا بعد أن كشفوا طريق دخولنا وخروجنا من القلعة، وتأكدهم من أننا لن نستطيع الخروج ثانية

وقال طريف: حقاً!! لو أننا فكرنا قليلاً لاستنتجنا ذلك. ومن الأفضل أن نبادر بالبحث عن لوح الخشب فقد نجده وقالت إلهام: ربما اكتفى الرجال بإسقاط اللوح خارج القلعة ولم يخبئوه هنا.

فقال طريف: أظن أنهم لا يفعلون ذلك خشية أن يعثر عليه أحد فيستعمله كما استعملناه.

وأخذ الثلاثة يبحثون عن لوح الخشب بلا جدوى، وأخيراً قال طريف: إن الموقف خطير. فها نحن أولاء قد سُجِنَّا في هذه القلعة، وأسامة في تلك الحلة الحديدية في الغرفة السرية، ويكفى أن يعطس أو يسعل لينكشف أمره.

واستطرد طريف قائلا: لقد وقعنا على عصابة تكتنف أعمالها أسرار غريبة.. فما الذي يدعو هؤلاء الرجال إلى الاختفاء هنا؟! إنني أود أن أكشف سرهم وأوقف أعمالهم التي لابد أن تكون شريرة. ولكننا فقدنا وسيلتنا الوحيدة للخروج من هذه القلعة.

وقالت أنسام: د لو استطعنا الخروج لأسرعنا إلى الاستنجاد بأصحاب العزبة

فقالت إلهام: إن أهم شيء الآن هو ألا يعلم هؤلاء الرجال بوجود طريف معنا، أو بوجود أسامة في حجرتهم السرية.

فقال طريف: نعم!! وسأختبئ في مكمني فوق الصخور، فهو أكثر الأماكن أمنًا، فانزلا إلى الردهة لتستطلعا الطريق، فإذا كان الباب السري مازال مغلقاً فأخبراني. وسأذهب إلى مخبئي ويمكنكما أن تجلسا بجانب الصخور وتهمسا إلى بما يحدث

وقالت أنسام: كم أود لو نعرف الطريق الذي يأتي منه فهد فربما كان يصلح لنا كي نستعمله!

وهبطت الفتاتان إلى الردهة، فلما وجدنا الباب السري مغلقاً أشارتا لطريف فاندفع كالبرق يهبط السلم ويعبر الردهة، وسرعان ما تسلق الصخور بخفة النمر واختفى في مخبئه القديم. وتسلّقت إلهام وأنسام مسافة قليلة من الصخور، ثم جلستا وأخذتا تحاولان التهام بعض الشطائر والطعام الذي أحضروه معهم، وقَدَّمَتَا إلى طريف شيئاً من الطعام فأكل هو أيضاً. وقالت أنسام: لو لم تسافر والدتنا اليوم لأقلقها غيابنا ولأرسلت جماعة للبحث عنا فى القلعة ... ولكن سوء الحظ يأبى إلا أن تسافر اليوم، فلم يشعر بغيابنا أحد.

وقالت إلهام: صه! لقد أقبل اثنان من الرجال فلا تتكلم يا طريف.

ونادى الرجلان إلهام وأنسام، فأجابت إلهام نداءها، فأشارا إليهما بالذهاب إليهما. وأراد الرجل الملتحي أن يسخر منهما، فقال بأدب ينطوي على استخفاف شديد: هل وجدتما لوح الخشب؟

فأجابت إلهام بشجاعة: لم نجده لأنك أخفيته.

فقال الرجل: طبعاً إنها فكرة جميلة، ولكننا لم نحبها. ويمكنكما أن تمكثا في الفناء وفى الليل تبيتان فى السرير الكبير في الحجرة السرية، فإن لدينا أعمالاً خارج القلعة. وحَذَارِ أن تصمدا إلى الدور العلوى أو الأبراج، وإلا وضعتكما في زنزانة مليئة بالفئران والخنافس.

وذُعِرَتْ إلهام فأطلقت صرخة رُعب. فقال الرجل: إذا فلتكونا بنتين مطيعتين حتى لا يصيبكما أذى. وكونا دائماً حيث نستطيع أن نراكما. إن لديكما كمية كبيرة من الطعام كما أرى، ولديكما مضخة في المطبخ فتستطيعان أن تأخذا منها ما تريدان من ماء.

ولم تجب الفتاتان. وانصرف الرجلان إلى داخل القلعة، وقالت أنسام: يا ترى ماذا يفعل أسامة؟! لابد أنه يشعر بجوع شديد الآن!

فقالت إلهام: إن هناك كمية كبيرة من الطعام على المائدة. فإذا استطاع السير بحلته الحديدية فسينال منه ما يشاء.

وفجأة قالت أنسام: هل تستطيع كيكي أن تحمل رسالة إلى نوارة كما يفعل الحمام الزاجل؟

وتساق طريف الصخور بخفة النمر . . .

فقالت إلهام: إنها ذكية، ولكنها لن تترك طريفاً أبداً.

صار الأولاد جميعاً في مأزق شديد، ولكن القدر هيأ لهم رسولاً لم يكن أحد يتوقعه.

٤ - أنسام تجد حلاً

قضت الفتاتان بقية النهار فى الفناء بالقرب من الصخور، حتى تستطيعا محادثة طريف وهو فى مخبئه، وكانتا تتساءلان عما يفعل أسامة في ذلك الوقت وهل كشف أمره؟ وقالت إلهام: من المؤسف أن هؤلاء الرجال يتكلمون فيما بينهم لغة غريبة لا نفهمها. ولو أنهم يتكلمون في الغرفة السرية باللغة العربية لأمكن أسامة أن يعرف الكثير من أسرارهم وهو واقف بالقرب منهم وهم لا يعلمون.

فقالت أنسام: هذا صحيح!! ولكنى كنت أود ألا يكون أسامة فى هذه الغرفة، ولا شك أنه في أشد الخوف الآن من أن ينكشف أمره.

فقالت إلهام: إن أسامة لا يخيفه شيء أبداً. إني واثقة أنه يتمتع بوقته في هذه الحلة الحديدية.

ومضى الوقت ثقيلاً متباطئاً، وقد بدأ طريف يحس بالتعب الشديد من جراء وضعه فى المخبأ الضيق. وقالت أنسام: إني لا أحب

هذه المغامراتِ ونحن مند مجون في أحداثها. ثم إننا لم نبحث عن هذه المغامرة، بل وجدنا أنفسنا فيها فجأة وبلا رغبة منا.

فقال طريف: لا تحملي هماً، فإني أتوقع أن نخرج منها سالمين.

ولكن أنسام لم تكن ترى أنه يمكن أن يخرجوا من هذه الورطة. وتناول الأطفال طعامهم، وود طريف لو يخرج قليلاً من مخبئه، ولكنه فضل أن ينتظر حتى يقبل الليل. وكانت كيكي قد تضايقت لطول حبسها مع طريف فانطلقت تثرثر بلا توقف وأخذت الفتاتان تراقبان باب القلعة خشية أن يخرج الرجال فيسمعوا كيكي التي انطلقت تقول دون توقف: ضع البراد على النار!! افتح الكتاب صفحة ٦!! امسح الباب! أقفل قدميك!

وضحك الأطفال للخطأ الذي وقعت فيه كيكي، وقال طريف هل تضايقت يا كيكي؟ سيحل الظلام حالاً وستستطيعين أن تطيري كما يَحلُو لك.

وغربَتِ الشمس، وبدأت النجوم تظهر في صفحة السماء، وخرج رجلان من الثلاثة، وقالا لإلهام وأنسام: يحسن بكما أن تنزلا وتذهبا إلى الفراش!

ولكن إلهام كانت تريد أن تسير مع طريف في الفناء قبل أن تنزل إلى الغرفة السرية، فقالت: سنمكث قليلاً في الفناء.

فضحك الرجل وقال: إذا فلتنزلا بعد نصف الساعة على الأكثر.

وعاد الرجلان إلى داخل القلعة فتبعتهما إلهام فى حذر، حتى إذا رأتهما ينزلان إلى الغرفة السرية وسمعت صوت احتكاك الباب السري وهو يقفل عادت مسرعة، وقالت لطريف: انزل يا طريف فقد ذهب الرجلان وساد الظلام، فلن يراك أحد!

وخرج طريف من مخبئه وهبط الصخور ووقف يتمطَّى ويقول: لقد تيست أطرافي وتصلب جسدي، فهيا بنا لنسير حول الفناء.

وسار الثلاثة فى ظلال القلعة، وقد تشابكت أيديهم. وقبل أن يخطوا بضع خطوات اندفع شيء واصطدم بساقي طريف وكاد يوقعه. فوقف مكانه مأخوذاً وأضاء بطاريته وهو يقول: ما هذا؟

وأطفأ طريف البطارية عجلا وهو يقول متعجباً: إنه فهد!! كيف جئت أيها الثعلب الصغيرُ؟

إنني سعيد برؤيتك!

وأخذ فهد يتمسح به وبإلهام وأنسام، وهو يصدر أصواتا خافتة، كأنما يعبر عن سروره، ولكنه ظل يدور حولهم مرة بعد مرة، وكأنما

يبحث عن أسامة. فقال طريف: إنك لن تستطيع أن تذهب إلى أسامة، وعليك أن تقنع بالبقاء معنا.

وقالت أنسام: طريف! لقد وجدت حلاً!

فقال طريف: ما هو هذا الحل؟

فقالت أنسام: يمكننا أن نستخدم فهداً رسولاً لنا، فنحمله رسالة إلى نوارة، نطلب منها فى الرسالة أن تساعدنا. ومن المؤكد أن فهداً سيعود إليها عندما يئس من العثور على أسامة، فهو يحبها أكثر منا بعد سيده أسامة.

وقالت إلهام: إنها فكرة مدهشة!! فإن فهداً هو الوحيد الذي يعرف كيف يخرجُ من هنا ويستطيع أن يكون رسولنا إلى نوارة.

وفكر طريف في الأمر ثم قال: إنها فكرة حسنة جديرة بأن نحاول تنفيذها، وليس منها ضرر.

وأخرج طريف من جيبه ورقة وقلما وكتب: نوارة!! إننا مسجونون في القلعة فابعثي إلينا نجدةً عاجلة، فقد نتعرض لخطر شديد بعد بعض الوقت.

ووقع الثلاثة على الورقة بأسمائهم، ثم طوى طريف الورقة وربطها جيدا بقطة من الخيط، ثم ربطها بعد ذلك حول رقبة فهد

بإحكام دون أن يضغط الخيط على عنقه. وقالت أنسام لفهد: هيا!! اذهب إلى نوارة.

ولكن الثعلب الصغير لم يفهم، وظل في مكانه، فقد كان يأمل أن يظهر أسامة. وظل فهد يدور حول أرجاء الفناء باحثاً عن أسامة، ويقف بين الحين والحين يحاول أن يتخلص من ذلك الشيء الذي وضعوه حول رقبته، ولكنه لم يفلح فى ذلك. وفجأة دوى صوت أحد الرجال ينادى: هيا انزِلَا أيتها البنتان.

وقفز الجميع من المفاجأة. وودعت إلهام وأنسام أخاها، وأسرعتا إلى داخل القلعة. وكان الباب السري مفتوحاً وضوء المصباح يتسرب من خلاله، فنزلتا فى السلم إلى الحجرة السرية ونظرتا إلى الحلل الحديدية وتساءلتا فى نفسيهما: يا ترى! أما زال أسامة في إحداها كما تركناه أم أنه استطاع الخروج منها بطريقة ما؟ ولكنهما لم تستطيعا أن تعرفا الحقيقة. وقال الرجل الأشعث وقد ازداد قبح وجهه في ضوء المصباح: سأغلق عليكما الحجرة، ويمكنكما أن تناما في ذلك السرير وسنأتي في الصباح.

وصعد الرجلُ فى الدرجات الحجرية، وما لبث الباب السري أن أغلق. ووقفت الفتاتان ساكنتان بضع لحظات، ثم قالت أنسام وهى تنظر إلى الحلة الحديدية: أسامة!! أما زلت هنا؟

فقال أسامة: نعم! وسأخرج حالاً فلم أعد أحتمل البقاء في الحلة الحديدية دقيقة واحدة بعد ذلك.

فقالت إلهام: ولكن قدر أن أحد الرجال عاد فجأة فماذا تفعل؟

فقال أسامة: لا أبالي؟ فقد تصلبَتْ عضلاتي وأنا فى هذا الوضع طول النهار أحاذر أن آتي بحركة، وأقاوم العطس عدة مرات.

وفى أثناء ذلك كان أسامة يتخلص من الحلة الحديدية محدثاً رنيناً وقعقعة عالية. وقال أسامة مكملاً حديثه: وأسوأ ما في الأمر أن الضفدع الذي كان فى جيبي تضايق من حرارة الجو داخل الحلة فقفز خارجاً منها من خلال أحد الشروخ ومضى يقفز هنا وهناك، والرجال لا يصدقون أعينهم.

فقالت أنسام: لا بُدَّ أنك أمضيت وقتاً عصيباً.

فقال أسامة: هذا صحيح. ولكني مسرور جداً لذلك، فقد عرفت بضعة أشياء. فهناك ممر سرى خلف تلك الستارة هناك.

وصاحت أنسام: حقاً!

وقالت إلهام: أخبرنا بكل ما عرفت.

فقال أسامة: مهلا حتى أتخلص من هذه الدروع.

فلما تخلص منها مضى يلين عضلاته ببعض التمرينات الرياضية.
وقالت إلهام: أراهن أن لديك أنباء مُثيرة!
وكانت على صواب حقا!!!...

٥ - أسامة يحكى قصة غريبة

قالت إلهام: يحسن بنا أن نذهب إلى الفراش، فقد يعود الرجال. ولكن ماذا تفعل يا أسامة إذا عادوا الآن؟

فقال أسامة: سأسمع صوت احتكاك الباب وهو يُفتح فأقفز من السرير وأختبئ تحته. وأظن أن الرجال لا يشتبهون في وجود أحد غيركما فى القلعة. ولذلك لم يكن من المحتمل أن يقوموا بتفتيش مفاجئ في منتصف الليل.

واتسع السرير العتيق الضخم للأطفال الثلاثة. وسُرَّ الأطفال لأن الفراش كان وثيراً، وكان أسامة أكثرهم سروراً بعد أن أمضى نهاره واقفاً في هذه الحلة الحديدية دون حراك. وبدأ أسامة يقص قصته على أختيه، فقال: لقد غضبت جداً عندما كلكما الرجال بتلك اللهجة الفظة، ولكنى لم أستطع عمل شيء. فبعد أن أمركما بالصعودِ أغلقوا الباب السري، وعادوا وجلسوا حول المائدة.

فقالت أنسام: هل فهمت لغتهم؟

فقال: لا! يؤسفني أنى لم أفهم لغتهم. ولكنهم أحضروا خرائط وأخذوا يتكلمون وهم يتتبعون خطوطها. وقد حاولت أن أرى ماهية هي هذه الخرائط فكدتُ أفقد توازني وأسقط.

فضحكت إلهام وقالت: لو أنك سقطت لسببت لهم فزعاً شديداً. ومن حُسن الحظ أنك لم تسقط.

فقال أسامة: وبعد أن انتهوا من الكلام أحضروا بعض علب الطعام المحفوظ، وأخذوا يأكلون حتى سال لعابي.

فقالت أنسام: يا للمسكين!! ألم تأكل حتى الآن؟

فقال أسامة: بل أكلت! لأنهم ما كادوا يتركون الحجرة حتى نزلت عن القاعدة الخشبية والتهمت ما بقى من الطعام والشراب، وأنا أرجو ألا يتبينوا ما ضاع من طعامهم. وقد خُيِّلَ إلى أن باقي الحلل الحديدية ستترك أماكنها وتشاركني الطعام.

فقالت أنسام: لا تقل هذه الأشياء المخيفة.

فضحك أسامة وقال: ولقد كنت أعاني صعوبة شديدة إذا أردت أن أشرب، فما كنت أستطيع أن أجعل رأسي إلى الخلف كثيراً وأنا في تلك الحلة الحديدية، فانسكب نصف الماء داخلها وخشيت أن يتسرب الماء من قدميها، فأترك بركاً مكان خطواتي.

ولم تمالك الفتاتان نفسهما من الضحك عندما سمعنا ذلك. وقال أسامة: وبعد أن عدت إلى مكاني بنحو عشرين دقيقة عاد الرجال ثانية، وعندئذ حدث شيء غريب!

فقالت الفتاتان: ماذا حدث؟

فقال أسامة وهو يشير بيده: هل تريان تلك السجادة المعلقة على الحائط؟ تلك السجادة المرسوم عليها جياد وكلاب. لقد ذهب أحد الرجال إليها ورفع أحد أطرافها وعلقه على مسمار قريب، وظهر خلف السجادة جزء من الحائط، ولكنه لم يكن سميكاً أو ثابتاً مثل باقي الحائط، ودفع الرجلُ هذا الجزء فانزلق إلى الخلف، ودخل الرجل إلى الفراغ الذي خلفه الحائط المنزلق، وفتح بابا على يمينه ومر منه، وتبعه الرجلان الآخران.

فقالت إلهام: وإلى أين ذهبوا؟!

فقال أسامة: ليتني أعلم! لا ريب أن هؤلاء الرجال يقومون بأعمال شريرة غير مشروعة، وهم يخفون سراً كبيراً لا يُرْجَى من ورائه خير. فما الذي يدعو مثل هؤلاء الأجانب - كما تكشفهم تلك اللغة الغريبة التي يتكلمونها أحياناً - إلى الإقامة في مثل هذا المكان المهجور واستخدام الغرف والممرات السرية؟

وقالت إلهام: هل نحاول نحن كشف ما وراء ذلك الباب السرى؟

فقال أسامة: لا! لا ليس من الصواب أن نحاول ذلك الآن.

فقد يعود الرجال فجأة ويكشفون أننا عرفنا سرهم. ولا يعلم إلا الله ماذا تحدث لنا عندئذ.

وأخذت الفتاتان تقصان عليه كيف قضتا اليوم مع طريف فى الفناء، وسر أسامة عندما علم أن طريفاً حر طليق وقال: من الخير أن يظل هؤلاء الرجال جاهلين لوجودي أنا وطريف.

وعندئذ أخبرته إلهام بأمر الرسالة التي حملها فهد إلى نوارة. واستمع إليها أسامة ثم قال شيئاً جعل كلاً منهما تحس أن قلبها انخلع من صدرها وسقط تحت قدميها.. فقد قال: إنها فكرة جميلة، ولكنها غير مجدية، فقد نسيتم أن نوارة لا تقرأ ولا تكتب!

ونظرت كل من الفتاتين إلى أختها في حزن، فقد غاب عنهما وعن طريف أيضا أن نوارة لا تعرف القراءة والكتابة. ولكن أسامة عندما رأى ابتئاسهما قال: قد يكون لدى نوارة من الذكاء ما يجعلها تأخذُ الورقة لمن يستطيع قراءتها.

ولما سمعت الفتاتان ذلك انتعشت آمالهما، وكان النعاس قد بدأ يتغلب عليهم فما لبثوا أن استغرقوا فى نوم عميق، وبعد أن مضى نحو

ساعتين أو ثلاث استيقظت إلهام فجأة عندما سمعت صوت احتكاك الباب السري وهو يفتح، فأسرعت تدفع أسامة وهى تهمس: أسامة!! استيقظ يا أسامة وانزل تحت السرير!! لقد عاد الرجال مرة أخرى. أسامة!

وتدحرج أسامة وهو نصف نائم إلى الأرض، ثم اختفى تحت السرير قبل أن يظهر الرجل الأول في الحجرة، ولكن الرجل سمع صوت سقوط أسامة فأقبل إلى السرير العتيق ذي الأعمدة الأربعة يستطلع الأمر. وجذب ستائر السرير السميكة جانباً ووقف يحملق فى البنتين ومقدم قدمه يكاد يلمس أسامة تحت السرير. ومرت لحظة خيل لإلهام فيها أن الرجل قد كشف أنها ليست نائمه، ولكنه ما لبث أن جذب الستائر وردها إلى مكانها وانصرف، ومن خلال فرجة الستائر استطاعت إلهام أن ترى أن بالحجرة خمسة رجال يتكلمون نفس اللغة الغريبة وذهب أحدهم إلى درج مقفل فتحه بمفتاح معه وأخرج بعض الخرائط ثم مضى الجميع يتدارسونها بعض الوقت، ولما انتهوا أعادها الرجل إلى مكانها وأغلق الدرج بالمفتاح. ثم رأت إلهام الرجل الأشعث يذهب إلى السجادة المعلقة ويرفع طرفها، ولكن أحد الرجال استوقفه وهو يشير إلى ناحية السرير، فاتجه الرجل إلى السرير وجذب ستائره وأحكمها بحيث لم يعد لها فروج تستطيع إلهام أن تنظر منها. فتألمت

وأحست ضيقاً في صَدْرها، ولكنها سمعت عدة أصوات دلتها على أن الباب السري الجديد قد انفتح ثم أقفل. وبعد لحظات سمعت صوت وقع أقدام تصعد في السلم الحجري، ثم ما لبث صوت احتكاك الباب السري أن وصل إلى سمعها. فاستجمعت شجاعتها ونظرت من خلال الستائر فوجدت الرجال جميعاً قد غادروا الحجرة، فنادت أسامة فأطل من تحت السرير وقال لها: لا توقظي أنسام لئلا تنزعج!

وقصت إلهام على أسامة ما رأت فقال: خمسة رجال!!! إنني أعجب!! ماذا يدبرون؟!! وأياً كان الأمر فقد أحسنا صنعا بعدم الدخول إلى الممر السري، ولو قد فعلنا لقبض علينا.

وسألته إلهام: هل تحب أن تواصل نومك تحت السرير؟

فأجاب: نعم! إن ذلك أفضل، فقد كاد ينكشف أمرى.

وعادت إلهام تسأله: وهل تنوى أن تقف في تلك الحلة الحديدية غدا؟

فقال: لا! لا! إنها متعبة جداً. وسأظل مختبئاً تحت السرير فليس من المعقول أنهم سيبحثون عنى وهم لا يظنون أني هنا.

وعاد الاثنان للنوم مرةً أخرى. فلما استيقظت إلهام كانت ساعتها تشير إلى السابعة والنصف صباحاً. وعندئذ جاء الرجل الأشعث وقال: هيا اخرجا ولا تبتعدا كثيراً.

٦ - يوم آخر ينقضي

عندما هبطت إلهام وأنسام إلى الحجرة السرية شعر طريف بالوحدة، ولكنه ما لبث أن رأى فهداً فقال له: مازلت هنا؟؟ هيا اذهب إلى نوارة فإنك لن تستطيع أن تصل إلى أسامة.

ولكن فهداً أخذ يتمسح بطريف ويدور حوله كأنما يطلب منه أن يدله على مكان أسامة. وكان طريف لم يفطن بعد إلى أن نوارة لا تعرف القراءة أو الكتابة، فقال لفهد: هيا يا فهد خذ هذه الرسالة إلى نوارة، وعندئذ ستسير أمورنا على ما يرام، وتستطيع أن ترى أسامة.

وبَدَا أَنَّ فهداً لم ييئس من العثور على سيده، فقد أمضى معظم الليل مع طريف فى الفناء وهو يبحث عن أسامة هنا وهناك، دون أن يلتفت إلى احتجاج كيكي على وجوده! وبزغ القمر وأضاء فناء القلعة، ونعقت بومة فقلدتها كيكي. وأقبلت البومة تبحث عن زميلتها التي أجابتها. فسرت كيكي وأخذت تطير من مكان إلى مكان وهي تقلد نعيق البومة، حتى ظنت البومة أن هناك عددا كبيراً من البوم فى الفناء، ولكنها لا تراه. وكان طريف يتابع هذه المحاورة، وانتبه فجأة ليرى ثلاثة رجال واقفين فى ضوء القمر، وحَمِدَ الله أنه لم يكن يتمشى في الفناء وإلا رأوه. وأسرع يتوارى في ظلال سور القلعة، وفجأة أبصر باب القلعة الضخم ينفتح فى هدوء ودون صوت، وبدا خلفه الطريق

إلى العالم الخارجي. وهم طريف بالنهوض، ولكنه عاد إلى مكانه عندما رأى رجلين يدخلان إلى فناء القلعة من خلال الباب وظل طريف قابعاً فى مكانه حتى عبر الرجلان الفناء وانضما إلى الباقين، ودخل الجميع القلعة وانتظر طريف مُدَّةً أُخْرَى.. حتى إذا اطمأن إلى أنهم دخلوا في الغرفة السرية أسرع إلى الباب الضخم فوجد حلقة حديدية مثبتة فيه فأخذ يجذبها ويديرها جهة اليمين ثم جهة اليسار، ولكن الباب لم يتحرك من مكانه، فقال في نفسه: لابد أن الرجلين قد أغلقاه بالمفتاح. ولو أنى كنت قريباً من الباب وهما يدخلان لتسللت خارجاً فى نفس الوقت الذي دخلا فيه. وحتى لو كانا قد انتبها لي فإن المفاجأة كانت كفيلة بأن تشل حركتهما فتتاح لي فرصة الفرار.

وعاد طريف يكمن بجوار الباب. ومضت الساعات تلو بعضها البعض والرجلان لا يعودان، فقد خرجا من الممر السري، أما الثلاثة الآخرون فإنهم كانوا فى مكان ما فى القلعة. وأخذ طريف يغالب النعاس حتى بدت تباشير الفجر، فوجد أن من الأفضل أن يعود إلى مخبئه فوق الصخور. وكانت كيكي نائمه على كتفه، ولكن فهداً كان قد اختفى، ولم يفطن طريف إلى ذلك في غَمْرَةِ الأحداث. وقال طريف في نفسه: كم أود لو أنه انطلق إلى نوارة! لقد أصابني ضيق وسأم من البقاء فى هذه القلعة!

وخرجت إلهام وأنسام من الغرفة السرية في نحو الساعة الثامنة. وكانت إلهام قد طلبت من أسامة أن يعود إلى حُلَّته الحديدية، ولكنه رفض وفضل البقاء تحت السرير، وطلب منها أن تمده ببعض الطعام والشراب. وعندما نزل الرجال الثلاثة إلى الغرفة بدا عليهم أنهم سينامون في السرير الكبير، فقد قال الرجل ذو اللحية الكثة: هيا أصعدا إلى الفناء وخذا معكما ما تريدان من علب الطعام المحفوظ، وسنناديكما لتنزلا في المساء.

وانتقت الفتاتان مجموعة من علب الطعام المحفوظ ثم أسرعتا إلى الخارج، وسمعنا صوت احتكاك الباب السري وهو يغلق خلفهما، فأسرعتا إلى الفناء حيث وجدتا طريفاً فى مخبئه فوق الصخور في انتظارها. ونادته أنسام قائلة: طريف! هل استيقظت؟ يمكنك أن تغادر مخبأك وتنزل إلى هنا بعض الوقت فإن الرجال قد نزلوا في الغرفة السرية، ويبدو أنهم سينامون، وقد جئنا بعدة علب من الطعام المحفوظ والفاكهة المحفوظة أيضاً...

وأسرع طريف يخرج من مخبئه ويهبط في الصخور، وضم إليه أختيه وهو يقول: جميل جداً منكما أنكما أحضرتما هذه العلب، فأنا في أشد حالات الجوع.

ومضى الثلاثة يتناولون إفطارهم وهم يتبادلون معلوماتهم، وكان طريف في شوق ليعرف أنباء أسامة. فلما قصت عليه إلهام ما رواه لها أسامة وما رأته بنفسها فى الغرفة السرية قال في دهشة: ممر سري آخر فى الغرفة السرية!!! وإلى أين يؤدى هذا الممر؟

فقالت إلهام: لست أدرى أين يؤدى!

فقال طريف: إذا أخبريني في أي جهة يقع مدخل هذا الممر السري؟

فقالت إلهام: فى الجهة المقابلة للمكان الذي أخبرتك أن أسامة كان يقف فيه فى حلّته الحديدية.

فقال طريف: هذا يعني أن الممر السري يؤدى إلى سفح التل خلف القلعة !!

ثم عاد يؤكد قائلاً: نعم!! إني أعتقد أنى على صواب.

ولابد أن يؤدى هذا الممر إلى سفح التل خلف القلعة. إنني أود لو أستطيع أن أدخل إليه وأسير فيه لأرى إلى أين يؤدى، وأراهن أنَّ أسامة سيفعل ذلك إن عاجلاً وإن آجلاً.

فقالت أنسام: أرجو أن يظل تحت سريره ولا يفعل ذلك حتى لا يصادفه أحد من الرجال الذين يدخلون ويخرجون من الممر فيقبض عليه.

وسألته فجأة: أين فهد؟؟ وهل تركك فى الليل؟

فقال طريف: نعم! لقد تركني فجأة دون أن أنتبه له. ولعله قد ذهب إلى نوارة الآن، وآمل أن تكون قد قرأت الورقة.

فقالت أنسام بحزن: إن أسامة يقول: إن ذلك لن يُجدِي، فقد نسينا أنها لا تقرأ أو تكتب.

فصاح طريف: يا للعنة!! لقد كنا حمقى فنسينا ذلك حقاً!

وسألت أنسام: وماذا نفعل الآن؟

فقال طريف: وماذا نستطيع أن نفعل سوى أن ننتظر؟

فقالت إلهام: إنني آمل أن تكون نوارة من الذكاء بحيث تذهب بالورقة إلى أي شخص يمكنه قراءتها. وأعتقد أنها سوف تفعل ذلك، فهي تعلم أنها لا تستطيع أن تدخل إلى هنا بدون مساعدة أحد. أو على الأقل ستعرف ذلك عندما تأتى وتجد أن اللوح الخشبي قد اختفى!

وأخذ اليوم يمر بطيئاً مملاً. حتى النسور كانت قد هجرت عشها بعد أن طار فرخ النسر. وقال طريف: إنني أود لو استطعت تحميض بعض الأفلام التي التقطتها لأرى كيف تبدو النسور في الصور.

ولم يكن هناك ما يستطيع الأطفال عمله، فأخذوا يطوفون في الفناء بعض الوقت، وقالت إلهام: إني أقترح أن نتسلل إلى البرج ونحاول أن نبعث ببعض الإشارات من هناك.

فقال طريف: ومن الذي سيرى هذه الإشارات؟ قد تراها نوارة، ولكنها لن تستطيع فهمها! ثم إن المحاولة لا تستحق المخاطرة فيما لو ضبطنا هؤلاء الرجال ذوو السحن الشريرة.

وهكذا مضى اليوم!! ولما أقبل المساء نادى أحد الرجال الفتاتين، فودعتا طريفاً وأسرعتا بالنزول وذهب طريف إلى النبع ليشرب، فقد كان يفضل عدم استعمال المضخة التي فى المطبخ حتى لا يصادفه أحد من الرجال. وانحنى طريف ليرشف من ماء النبع، وعندئذ سمع صوتاً غريباً يصدر عن النفق الذي يختفى فيه ماء النبع، وخيل لطريف أن شيئاً ما يزحف فى خلال النفق قادماً نحوه. فتراجع في جزع وهو يقول: يا تُرى ما هذا؟

٧ - شجاعة نوارة

ومضت لحظة، ثم سمع طريف صوتاً مألوفاً، فقد وصل إلى سمعه صياح فهد. واقترب طريف من مدخل النفق وأضاء بطاريته، ثم وثب فزعاً عندما وجد وجها آدميا يحملق فيه، ولكنه ما لبث أن تبين أنه وجه نوارة فصاح: نوارة!! ماذا تفعلين يا نوارة؟

ولكنها لم ترد عليه، بل أخذت تجاهد حتى أخرجت رأسها وكتفيها من مدخل السرداب، وعندئذ أفاق طريف من ذهوله وجموده

وأسرع يجذبها حتى خرجت من السرداب يتبعها فهد. ورأى طريف أن نوارة كانت قد وضعت مقوداً حول عنق فهد حتى لا يبتعد عنها. وجلست نوارة وهى تلهث بشدة ووضعت رأسها بين ركبتيها، وقد ابتلت ثيابها وغطاها الطين ولوث وجهها وذراعيها ورجليها، وكانت ترتعد من البرد والخوف، فأخذها طريف إلى الركن الذي أمضى فيه الليلة الأولى وأعطاها غطاءه، فجففت جسمها وجلست تستريح . . . وأقبلت كيكي ترحب بها وتقف على كتفها، وعندما استردت أنفاسها ابتسمت ابتسامة واهنة فاترة، وسألت: أين أسامة؟!

ولم يشأ طريف أن يزعجها ويفاجئها بما حدث فقال: إنه مع إلهام وأنسام.

وجلس بجانبها حتى عادت إلى حالتها الطبيعية وعندئذ قالت: إنني أشعر بجوع شديد.

فأحضر لها طريف بعض الطعام، فمضت تلتهمه. وكانت كيكي تحاول تقليدها وهى تلهث من التعب. وبعد أن انتهت من الأكل قالت: أخبرني بما حدث

فقال طريف: اخفضي صوتك فإن حولنا أعداء

وذعرت نوارة وقالت: هل هو الرجل الشرير الذي يسجن الناس؟

فقال طريف: لا! هل حمل فهد رسالتنا إليك؟

فقالت نوارة: نعم! ولكني جئت أمس دون أن تعلم أمي. كنت أريد أن أقضى معكم بعض الوقت فلم أجد اللوح الخشبي، فتعجبت من ذلك ورجعت.. أين ذهب اللوح؟

فقال طريف: ليتني أعلم!

فقالت نوارة: لقد عدت إلى البيت وأنا في أشد القلق من أجلكم. وفى هذا الصباح جاء فهد ورأيت الخيط حول عنقه وفيه الورقة، ولكنى لم أستطع قراءتها ولم أعطها لأمي لأنها كانت غاضبة مني، ووالدتكم كانت قد سافرت. ولم أستحسن أن أذهب بها إلى العزبة، فربطت مقودا إلى عنق فهد حتى أعرف الطريق الذي استعمله عندما يعود للبحث عن أسامة

فقال طريف: إنك رائعة!

وسرت نوارة لهذا الإطراء وقالت: عندما ربطت المقود إلى عنق فهد غضب جداً وحاول أن يعضه، بل حاول أن يعضى أنا، ومضى يصعد فى التل تارة ويهبط تارة أخرى حتى أنهك قواي، فلما أظلمت الدنيا قرر أن يأتي هنا للبحث عن أسامة، فاندفع يجرني خلفه بحذاء الجدول حتى اقتربنا من القلعة. وإذا بالجدول يأتي من نفق ضيق هو الذي رأيتني أخرج منه. إن النفق يمتد تحت سور القلعة نفسه.

وربت طريف رأس فهد، ثم قال: وهل زحفت كل هذه المسافة داخل النفق حتى وصلت إلى هنا؟

فقالت نوارة: نعم! ولم يكن يضايقني سوى أن الماء كان يتدفق نحوى وفى مواجهتي طول الوقت حتى كاد يغرقني. ولكن النفق كان متسعاً فى معظم أجزائه وهو يمتد في بطن الصخر. وأضيق أجزائه مدخله من ناحية التل، ومدخله داخل القلعة.

فقال طريف: إنك فتاة صغيرة شجاعة وسيسر أسامة من شجاعتك...

وسرت نوارة لذلك. ثم أخذت تسأل طريفاً عما حدث له ولإخوته في هذه المدة، فمضى طريف يقص عليها كل ما حدث وهى تنصت له في اهتمام ودهشة لقصة هؤلاء الرجال الأشرار واختباء أسامة في الحلة الحديدية، والممر السري الجديد. ثم قالت لطريف: هل يمكنك أن تأتى معي عن طريق النفق إلى الخارج لكي تذهب في طلب النجدة؟

فقال طريف: لا! كنت أفكر في ذلك. وأفضل أن أذهب الليلة ولا انتظر قدوم إلهام وأنسام فقد لا تستطيعان الزحف في خلال النفق، وربما غلبهما الخوف. وسأذهب أنا وحدى، أما أنت فأبقى هنا

حتى إذا خرجت إلهام وأنسام في الصباح أخبرتهما بكل شيء حتى لا تقلقا لغيابي. وسأترك معك فهداً وكيكي حتى يؤنسا وحشتك. ويمكنك الصعود والاختباء فى مخبئي فوق الصخور، وربما استطعت أن تَرَى أسامة غداً.

وذهبت نوارة مع طريف إلى مدخل النفق وقال لها: اذهبي إلى مخبئي وخذي معك فهداً واحملي كيكي حتى لا تراني وأنا أدخل النفق لأنها لو رأتني حاولت أن تتبعني.

وذهبت نوارة إلى مخبأ طريف فوق الصخور ومعها كيكي تنتظر قدوم طريف، وقبع فهد عند قدميها. وطرح طريف نفسه على الأرض وأخذ يزحف حتى دخل النفق والماء يندفع من حوله. وقال طريف في نفسه: ألم يستطع فهد أن يجد طريقاً أحسن من هذا؟

وأخذ يزحف مستعينا بيديه ورجليه. وكان طريف قلقاً من أجل مصير أفلامه التي كانت فى جيبه، ولكنه اطمأن عندما تذكر أنه وضعها في كيس لا ينفذ منه الماء، كان إخوته قد أحضروا فيه بعض الطعام. وبعد قليل اتسع النفق وأصبحت أرضه صخرية. فعلم أنه يمر تحت سور القلعة. وظل طريف في زَحْفِهِ يُسْرِع عندما يتسع النفق ويبطئ مرغماً عندما يضيق، حتى بلغ نهاية النفق بعد مدة خالها دهراً طويلاً، وكان مدخل النفق ضيقاً فأخذ يجاهد حتى مر منه إلى الخارج، فجلس فوق الحشائش تتتابع أنفاسه من التعب. وقال في نفسه: لو أن إلهام وأنسام حاولتا الخروج من هذا الطريق لتسمرتا في الداخل، وعجزتا عن الحركة من شدة الخوف.

وكان طريف نفسه يرجو ألا تضطره الظروف أن يزحف في نفق كهذا بعد ذلك. وبعد أن استراح قليلا نهض واقفاً وأخذ يهبط في التل مسرعاً مسترشداً بضوء القمر، وهو يتطلع أمامه لعله يرى منزله، وبعد لحظات بدا المنزل أمامه، فأسرع نحوه، ولكنه ما لبث أن وقف

مأخوذاً ... فقد رأى نوراً يشع من إحدى النوافذ، وكانت نافذة حجرة الاستقبال. يا ترى! هل عادت والدته؟! طبعا لاً! وإلا لعلمت نوارة!!! هل جاء أحد الرجال الأشرار إلى المنزل ليعرف المزيد عن إلهام وأنسام؟!! وأخذ طريف يقترب من المنزل بهدوء وحذر، وأطل من جانب النافذة فرأى شخصاً جالساً في مقعد كبير ذي ظهر مرتفع يحجب من يجلس فيه. فتساءل: هل هي والدته التي تجلس في الكرسي؟

ولكن سحابة كثيفة من الدخان تصاعدت فوق رأس الجالس، فهمس فى نفسه: إنه رجل!! يا ترى! من يكون؟

٨- مفاجآت

ظل طريف واقفاً خارج النافذة وهو يرجو أن يغادر الرجل مكانه حتى يستطيع أن يتحقق مما إذا كان هو أحد الرجال الذين رآهم في القلعة، ولكن الرجل لم يتحرك من مكانه. وعجب طريف من جرأة هذا الرجل على دخول البيت!! وقرر أن يدخل إلى المنزل خلسة ليعرف شخصية الجالس في الكرسي، ودار طريف حول المنزل وهو يأمل أن تكون نافذة غرفته مفتوحة. وتعثر في دلو كانت في الحديقة، فوقف ساكناً وهو يرجو ألا يكون الرجل قد سمع الصوت.

ثم استأنف سيره حتى وصل إلى النافذة، وكانت مفتوحةً، فتسلق الشجرة القريبة منها بخفة، وكانت الشجرة قريبة جداً من النافذة، فلما صار في محاذاة النافذة، وثب إليها ودلف إلى الحجرة ووقف يصيخ السمع، ولكن السكون كان شاملاً، فتقدم بهدوء من الباب وفتحه، وخرج إلى الممر المظلم وهو يسير على أطراف أصابعه حتى وصل إلى السلم، فوقف هُنَيْهَةً يُنْصِتُ عند رأس السلم، فلم يسمع شيئاً غير عادى، فأخذ يهبط في السلم درجة بعد أخرى وهو يحاذر أن يصدر عنه أي صوت، وكان هناك منحنى فى السلم قرب نهايته، فأراد أن يقف عنده قليلاً، ولكنه ما كاد يصل إليه حتى وثب عليه شخص كان مختبئاً في الظلام وأمسك بذراعيه ثم دفعه بشدة، فسقط يتدحرج إلى الدرجات الباقية. ثم أمسك به مهاجمه بيدين حديديتين ورفعه على قدميه ودفعه إلى الحجرة المضاءة ونظر طريف إلى الكرسي فوجده خالياً، ثم نظر إلى آسره وهو يتوقع أن يرى أحد رجال القلعة، ولكنه صاح في دهشة: سمير!

وصاح الرجل الذي لم يكن غير سمير: طريف!! بالله عليك ما الذي جعلك تتسلل هكذا؟! لقد ظننتك لصاً، فقبضت عليك !

ورأى سمير ملابس طريف المبتلة فقال له: ماذا كنت تفعل فلقد جئت اليوم وفى نيتي أن أقضى معكم بضعة أيام، ولكنى لم أجد أحداً. ووجدت المنزل مغلقاً.

فقال طريف: كيف دخلت؟

فقال سمير ضاحكاً: إن لي طرق الخاصة، وقد جلست في انتظاركم، فلما لم يأت أحد قررت أن أقضى الليلة وحدي، ثم أقوم بالتحري عنكم غداً.

فقال طريف: عندما نظرت من النافذة لم أستطع أن أتبين الجالس في الكرسي، فاحتلت حتى دخلت من النافذة لأدخل المنزل وأرى من بالحجرة، إنني سعيد كل السعادة برؤيتك يا سمير.. إننا في خطر شديد.

فدهش سمير وقال: ماذا تعنى؟! وأين أسامة؟! وأين إلهام وأنسام!؟ وأين والدتك!

فقال طريف: لقد ذهبت والدتي لتزور خالتي عزيزة لأنها مريضة. وسأقص عليك القصة من أولها وسأترك لك أمر حل المشكلة.

وأخذ طريف يقص كل ما مر من الحوادث وسمير يصغى له في انتباه شديد، فلما أخبره طريف أن أسامة اختبأ في الحلة الحديدية

وذكر له الطريقة التي اختبأ بها انفجر ضاحكاً، وقال: يا لها من فكرة ماكرة!! إنها تناسب أسامة، وتناسب تفكيره وحيله ... إنه لن يدور بخلد أي من هؤلاء الرجال أن أحداً يختبئ بالقرب منهم.

وكلما مضى طريف في قصته أخذ اهتمام سمير يتزايد. فلما انتهى طريف من قصته قال سمير: إنها قصة غير عادية. وتخفى وراءها أشياءً كثيرة لا تعلمها ... ما شكل هؤلاء الرجال؟ هل تستطيع أن تصف لي بعضهم؟ هل بينهم رجل تظهر ندبة على ذقنه وعنقه؟

فقال طريف: لا! لم أر أحداً بذقنه أثر جُرح، ولكنى التقطت صورة اثنين من الرجال عندما هجمت عليهما أنثى النسر، وإن كان أحد الرجلين لن يبدو واضحاً في الصورة مثل زميله.

فقال سمير: هل معك هذه الصور؟

فقال طريف: بل معي الأفلام نفسها.

فقال سمير: لا بأس!! سأتولى أنا أمر هذه الأفلام حتى تظهر الصور، وفى أثناء ذلك تدخل أنت غرفتك لتنام بعض الوقت فإنك مجهود ومكدود.. إنني أعتقد أن لديك الأدوات اللازمة لطبع الصور.

فقال طريف: ألا يجب أن نسرع لإنقاذ الباقين، قبل أن أنام أنا وقبل أن تطبع أنت الصور؟

فقال سمير: مهلاً!! يجب على أولاً أن أذهب إلى البلدة التي قابلتموني فيها لأعمل بعض الترتيبات وأجمع رجالي، فإنه إذا كان أولئك الرجال الذين أخبرتني عنهم يعملون ما أفكر فيه فستكون لدى الفرصة للقبض عليهم جميعاً مرة واحدة.

فسأله طريف: وماذا يفعلون؟

فقال سمير: لا أستطيع أن أخبرك الآن، فلست واثقاً من صحة تقديري.

وهم سمير بالخروج من الغرفة، ولكنه توقف وقال لطريف: أخبرني ... أي نوع من الأطفال أنتم؟!! ما من مكان تذهبون إليه حتى تندمجوا في المغامرات!! والآن هيا إلى النوم.

ونام طريف على الأريكة فى حجرة الاستقبال، وظل نائماً حتى أيقظه سمير، فنهض وقد طلع النهار. وقال سمير: آسف لإزعاجك!

انظر إلى هذه الصورة. لقد التقطتها بدقة أظهرت كل ملامح وجه الرجل ذي اللحية الكثة. انظر إلى الجزء الظاهر من رقبته ... هل ترى شيئاً؟

فقال طريف: يبدو أن هناك علامة ما.

فقال سمير: نعم! والآن انظر إلى هذه الصورة.

وأعطى سمير صورة أخرى لطريف كان قد أخرجها من جيبه. فنظر طريف إليها فرأى رجلاً حليق الذقن وقد بدا أثر جرح كبير في دقنه ورقبته. وقال سمير: إنه نفس الرجل. ويظهر أنه أعفى لحيته في الأيام الأخيرة. لقد تحققت الآن مما يفعله هؤلاء الرجال. إني أتعقب هذا الرجل منذ ستة أشهر.

فسأله طريف: من هو هذا الرجل؟

فقال سمير: إنه مشهور بذي الرقبة المجروحة. وهو جاسوس خطير جداً.

فقال طريف: هل أنت مكلف بالقبض عليه؟

فقال سمير: لا! إن مهمتي الآن أن أتعقبه وأراقبه، لأننا لا نريد أن نقبض عليه إلا بعد أن نعرف كل شيء عن أعماله هو وزملائه، ثم نقبض عليهم جميعاً. وقد تبعته حتى تلك البلدة التي قابلتكم فيها، ثم فقدت أثره، فهو ماكر خبيث.

فقال طريف: لقد ذهب إلى القلعة. إنها مخبأ أمين !

فقال سمير: هل تعرف ماذا يُوجَدُ في الجهة الأخرى من التل؟

فقال طريف: لا! إننا لم نذهب إلى هذه الجهة أبداً!

وقال سمير: يجب أن أبحث عن تاريخ هذه القلعة، وأتحرى عمن كان يملكها ومن يملكها الآن. إني سعيد جداً أن صادفتكم في ذلك اليوم في البلدة، ولأني ما جئتُ إلى هنا إلا أمس.

فقال طريف: وأنا كذلك سعيد، فلم تكن لدى أي فكرة عما علي أن أفعل. أما الآن فسأترك لك الأمر تعالجه بالطريقة التي تراها!

فقال سمير: نعم!! دع كل شيء لي وأكمل نومك، فسأذهب بسيارتي إلى البلدة لأقوم ببعض الاتصالات، وأجمع بعض الأصدقاء، وأعود على عجل، بعد أن أتم بعض الترتيبات؛ لكي نصحبك إلى القلعة حتى ترشدنا إلى الطريق.

وخرج سمير ليركب سيارته، وصاح طريف خلفه: سمير!! كيف ندخل القلعة؟

ولكن السيارة كانت قد ابتعدت، فقال طريف في نفسه: إنني أستطيع أن أترك كل شيء لسمير. ... ثم عاد لِيَسْتَغْرِق في نومه.

الفصل الرابع

١- كيكي تقدم استعراضاً

دخلت نوارة مخبأ طريف الذي كان قد أعده لنفسه فوق الصخور وما لبثت أن استغرقت فى النوم لشدة تعبها، ولكن كيكي ظلت مستيقظة قلقة فى انتظار أن يلحق بها طريف، فلما مضى الوقت ولم يعد طريف غرزت كيكي مخالبها فى جسم نوارة، فاستيقظت قائلة: لا تفعلي هذا يا كيكي. نامي هادئة كما يفعل فهد.

ومدت يدها تربت رأس كيكي، ووصل إليهما صوت من الفناء، فأمالت كيكي رأسها على أحد الجانبين وهي تُنْصِتُ، وظنت أن طريفاً قد عاد، فصاحت: ضع البراد على النار! ثم خرجت من المخبأ، وطارت فى الهواء وهى تردد: ضع البراد على النار!! ضع البراد على النار!

سكتت كيكي وساد الفناء سكون عميق، ثم انبعث ضوء بطارية يكتسح ظلام الفناء، ولكن كيكي كانت مختفية خلف إحدى الصخور في تلك اللحظة، وكان فى الفناء رجلان يعتقدان أن هناك شخصاً فوق الصخور، فلم يكونا يعلمان شيئاً عن كيكي، وصاحت كيكي: امسح قدميك! أقفل الباب!

وأخذ الرجلان يتهامسان، وأدركت كيكي أنها أخطأت وأن طريفاً ليس فى الفناء، فقالت بصوت حزين: افتح كتابك صفحة ٦٠

فانحنى أحد الرجلين والتقط حجراً صوبه بقوة ناحية الصوت فكاد أن يصيب كيكي، فذعرت لأنه لا يحدث أن حاول أحد ضَربها بحجر من قبل، وفردت جناحيها وطارت إلى سور القلعة، فأصبحت خلف الرجلين، وصاحت تؤنبهما: أيها الولد الشرير! أيها الولد الشرير!

فازداد الرجلان غضَباً، وظنا أن هناك شخصاً آخر فوق سور القلعة، وصاح أحدهما: انزل هنا فإننا لا نستسيغ هذا الهراء.

فأعجبت الكلمة كيكي فانطلقت تردد: هراء! هراء! هر ام! ثم طارت إلى أرض الفناء خلف الرجلين، ووقفت في الظلام تقلد صوت فهد، فوثب الرجلان فزعاً وقال أحدهما: هنا كلب! اضربه بالرصاص! وصوب الرجل الآخر مسدسه نحو مصدر الصوتِ، وأطلق رصاصة طائشة تردد صوتها فى المكان، فذعرت نوارة، وفزع فهد، وانطلق يجرى خائفاً، وكان المقود لا يزال حول رقبته، فمضى يجره خلفه، وهو يجرى ... ومر فهد بالقرب من الرجلين فليس المقود رجل أحدهما، فصوب ضوء البطارية نحو ذلك الشيء، فلمح فهداً وهو يختفى هارباً، فقال: إنه كلب صغير جداً!

طارت كيكي إلى شجرة قريبة، وأخذت تموه كالقطة، فقال أحد الرجلين: قطط أيضاً!! لقد امتلأت القلعة بالأصوات ولا أرى شيئاً.

وقالت كيكي: هراء!! هراء...!! هراء!

ثم انطلقت تضحك وتقهقه، كما يفعل الأطفال، ثم أنهت استعراضها بعدة صرخات مدوية كصرخات النسور، فقال أحد الرجلين: يبدو أن هذا المكان مسكون، فهيا بنا إلى داخل القلعة.

وعادت كيكي تقلد قهقهة الأطفال، فأسرع الرجلان إلى داخل القلعة. ولم تتمالك نوارة نفسها من الخوف رغم أنها تعلم أن كيكي هي تُحدث هذه الأصوات كلَّها. فهي التي تموء وتصرخ، وهي التي تضحك هذه الضحكات الغريبة.. وطارت كيكي عدة مرات حول الفناء، فلما لم تجد طريفاً عادت إلى نوارة، فقالت لها: إني سعيدة بعودتك. ويبدو أن فهداً قد انطلق إلى النفق خارجاً من القلعة. فأَخْلدي إلى السكون ونامي.

ووضعت كيكي رأسها تحت جناحها، ثم نامت. وكذلك نامت نوارة حتى أيقظتها إلهام وأنسام فى الصباح. وكانت الأختان قد قضتا ليلة طيبة فى السرير العتيق الفخم، وأسامة كان يرقد تحته وقد ضاق صدره بذلك السجن، فأراد أن يخاطر ويحاول الخروج معهما في

وأطلق الرجل رصاصة طائشة تردد صوتها فى المكان ...

الصباح، ولكن إلهام توسلت إليه ألا يقدم على هذه المغامرة حتى لا يقع في قبضة الرجال الأشرار، وتزيد الأمور سوءاً ... وتركاه بعد أن وضعتا كمية من الطعام تحت السرير. وذهبت الاثنتان إلى مخبأ طريف. ونادتاه، ولكنه لم يكن هناك. ونظرت أنسام بين فروع الشجيرات وقالت في دهشة: من؟! نوارة! كيف جئت إلى هنا؟؟!!

فقالت نوارة: لقد جئت لكى أساعدكم. فقد جاء فهد إلى وفى رقبته رسالتكم، ولكنى لم أستطع قراءتها فأقبلت لكى أرى ما يحدث. وقد كشفت الطريق الذي يدخل منه فهد، فأتيت عن طريقه معه.

فقالت إلهام: هل فعلت ذلك حقا؟! أين هو ذلك الطريق؟

فلما أخبرتها نوارة قالت أنسام فى عجب: وكيف استطاعت أن تزحفي في ذلك النفق الرطب الضيق؟! إنك مدهشة حقاً!! ولو كنت أنا لما استطعت أن أفعل ذلك.

وقالت إلهام: وأنا أيضاً لم أكن أستطيع أن أفعل ذلك. إنك شجاعة يا نوارة.

فسرت نوارة لهذا المديح. وسألتها أنسام: أين طريف؟

فأجابت: لقد عاد من نفس الطريق ليأتي بالنجدة. وطلب منى البقاء هنا لأخبركم بذلك.

فقالت إلهام: إني سعيدة لأنك جئت يا نوارة، فأرشدت طريفاً إلى طريق الهرب. وأعتقد أنه سيعود قريباً ومعه النجدة.

فقالت أنسام: ولكن كيف يدخلون إلى القلعة؟

فقالت نوارة: إنهم يستطيعون أن يحضروا لوحاً خشبيا آخر معهم.

وتدخلت كيكي فى المناقشة قائلة: هراء!! هراء!! هراء!

فضحكت البنات لذلك، وتذكرت نوارة ما فعلته كيكي في الليل، فأخذت تقصه على إلهام وأنسام، فلما ذكرت لهما كيف أن أحد الرجلين أطلق الرصاص على كيكي ذعرت أنسام وقالت: يا لهم من رجال خطرين!! يحسن بنا أن نهرب عن طريق ذلك النفق الذي جاءت منه نوارة.

فقالت إلهام مستنكرة: ونترك أسامة وحده هنا!

فقالت نوارة: حقاً! إننا لا نستطيع أن نهرب من القلعة ونترك أسامة في تلك الغرفة السرية لا يعرف المكان الذي ذهبتما إليه.

وقالت إلهام: إني لن أترك القلمة دون أسامة.

وأقرتهما أنسام على رأيهما وسلمت بصوابه، ومضى الثلاث يتناولن طعام الإفطار، ونوارة فى مخبتها خشية أن يصمد أحد من

الرجال فيراها. وقالت إلهام: لم يظهر أثر لفهد حتى الآن، ولا شك أنه مع طريف.

وفجأة قالت أنسام: انظر!!! لقد عادت النسور!

ونظر الجميع إلى النسور الثلاثة وهى تهبط نحو الصخور العالية، ثم تستقر عليها فى عظمة. وقالت أنسام: لقد أصبح النسر الصغير قادراً على الطيران، وقدرته عليه لا تقل عن النسرين الكبيرين.

ثم ألقت إليه بقطعة من الخبز، ولكنه لم يلتفت إليها، بل إنه لم يبد أقل الاهتمام بذلك، وظل ثابتاً فى مكانه وهو ينظر إليهن بكبرياء. فقالت: لو أن طريفاً هنا لسرة أن يلتقط صورة النسور الثلاثة وهى تقف هكذا.

فقالت إلهام: إنني أتوقع أن أرى طريفاً فى أي لحظة الآن، فلا شك أنه لن يتوانى عن تدبير أمر إنقاذنا من هذه القلعة بأسرع ما يمكن.

فسألتها أنسام: هل تظنين أنه سيعود إلى القلعة اليوم؟

فقالت إلهام: إنني أشعر أننا لن نمكث في هذه القلعة طويلاً، وأن طريفاً سرعان ما سيعود بمن يُنْقِذُنا.

٢- في منتصف الليل

ظل طريف نائماً عدة ساعات أخرى حتى انتصف النهار. ولم يستيقظ إلا عندما عاد سمير فى سيارته، وكان معه أربعة رجال أشداء.. وكان من الواضح أن سميراً رئيسهم. ودخل سمير بعد أن ترك رجاله في السيارة وقال لطريف: هل استيقظت؟ لقد انتصف النهار، فهل تريد أن نتناول الطعام؟ سأستدعى أحد رجالى من الخارج ليعد. لنا مائدة صغيرة، فهو يجيد ذلك.

فقال طريف: حسناً! فإنني أشعر بجوع شديد حقاً.

استطرد قائلاً: وهل نذهب إلى القلعة بعد أن نتناول الطعام؟

فأجاب سمير: لا!! بل سننتظر حتى يسدل الليل أستاره. ولن يبزغ القمر الليلة إلا متأخراً، ولذلك سنتوجه إلى القلعة قبيل منتصف الليل بقليل عندما يكون الظلام شاملاً، فلا شك أن بعض هؤلاء الرجال يقوم بالحراسة في أثناء النهار

فقال طريف: إن البنات سيصيبهن الضجر عندما يطول انتظارهن لنا طوال النهار ولا نذهب إليهن.

فقال سمير: ليس فى وُسْعَنَا عملُ أي شيء في النهار، فإن من المهم جداً أن ننجح في دخول القلعة دون أن يرانا أو يشعر بنا أحد من تلك العصبة.

وصعد طريف إلى حجرته ليبدل ملابسه. وبعد لحظات رأى شيئاً يندفع إلى داخل الحجرة، فنظر إليه فإذا هو فهد قد أقبل إليه وكأنه يقول: لماذا لا أجد أسامة فى حين أنى أجدك أنت سواء ذهبت إلى القلعة أم جئت إلى هنا؟

وأخذ طريف يربت رأس فهد وهو يقول: سيعود إليك أسامة قريباً فلا تحزن.

وحمل طريف فهداً ونزل به وأراه لسمير فأعجب به كثيراً. وبعد أن تناول الجميع طعامهم أخذ سمير يسأل طريفاً عن القلعة وحجراتها وممراتها وموقع الحجرة السرية وغير ذلك، فوثق طريف أن سميراً قد قرر أن يدخل القلعة فى منتصف الليلة بطريقة ما، فقال له: إني أخشى أن يكون هؤلاء الرجال مسلحين، فيبدو أنهم أشرار خطرون.

فقال سمير مبتسماً: لن يكونوا وحدهم المسلحين. وإني أعرف ذا الرقبة المجروحة معرفة جيدة منذ وقت طويل. وأعرف أنه رجل لا يترك شيئاً للصدف. ولا شك أن عثوره على إلهام وأنسام سيجعله يسرع بإنجاز خططه أيا كانت هذه الخطط.

وقضى طريف بعض الوقت فى تحميض أفلامه وطبع الصور وظهرت النسور واضحةً فى أوضاع جميلة في الصور وبخاصة النسر الصغير، فقد كانت صوره رائعة، ولا سيما تلك الصورة التي بدا فيها

وهو يهم بالطيران المرة الأولى. وقدم طريف الصور لسمير ليراها، فقال: إنها صُور رائعة!! ولو أنك بعثت بها إلى إحدى المجلات لنشرتها لك وأصبت من ذلك شهرة ذائعة.

فشعر طريف بالسرور والفخر، ولما تقدم النهار قال سمير لطريف: سيكون لدينا عمل كثير في هذه الليلة، وسنحتاج إلى معونتك، ولذلك أرى أن تحاول أن تنام بعض الوقت لتكون نشيطاً متنبها عندما نبدأ المغامرة الليلة. وعمل طريف بنصيحة سمير، فلما استيقظ كان النهار قد ولى، فذهب إلى سمير وقال له: ألا تبدأ رحلتنا الآن؟؟ فإن صعود التل يستغرق بعض الوقت.

فقال سمير: إننا سنذهب بالسيارة إلى أقصى ما يسمح به لنا الطريق، حتى إذا بلغنا الجزء المنهار منه ترجلنا وقطعنا الجزء الباقي سيراً على الأقدام.

فلما لف الظلام كل شيء ركب الجميع السيارة وانطلقوا نحو القلعة. وفي الطريق قال سمير: إن ما يقلقني هو وجود أسامة في تلك الغرفة السرية، فإنني أتوقع أن يحدث صراع بيننا وبين أفراد هذه العصابة.

ولا أريد أن يكون أحد من الأطفال موجوداً فى وقت المعركة.

فقال طريف بكبرياء: إننا نحن الذين بدأنا المغامرة وقدناكم إلى وكر الأشرار. فضحك سمير وقال: نعم!! نعم!! ولكن وجودكم في هذه اللحظة نفسها يعرقل عملنا.

فسأله طريف: وما الذي تنوى أن تفعله؟

فقال سمير: إن هذا يتوقف على الظروف، ولكننا ننوى أن ننزل إلى الغرفة السرية في هذه الليلة عندما تكون إلهام وأنسام فيها. ونرجو ألا يكون الرجال فيها عندئذ.

فقال طريف: وتنقذون إلهام وأنسام وأسامة أيضاً !

فقال سمير: نعم!! ولو أننا سنحتاج أسامة بعض الوقت لكي يرينا ذلك الممر السري، فإنني أريد أن أعرف المكان الذي ينتهي إليه ذلك الممر، وأعتقد أن أسامة لن يوافق على الهرب وسيصر على مرافقتنا.

فقال طريف: نعم!! وكذلك أنا، ويمكننا أن نخرج البنات من القلعة ونبقى نحن لنشاهد الصراع.

وقال سمير: إني أريد أن أعرف بعض الأشياء الأخرى أيضاً، ويؤسفني أنهم يتكلمون لغة لا يعرفها أسامة، ولو أنه كان يعرفها لأخبرنا بما نريد.

فقال طريف: وكيف نتوصل إلى معرفة هذه الأشياء؟

فقال سمير: سنتبع طريقة أسامة ... سيدخل كل منا في إحدى تلك الحلل الحديدية ونستمع إلى ما يقولون.

فقال طريف: آه ... إني لم أفكر في ذلك.

فقال سمير: إن فكرة أسامة رائعة، ولو أنه كان يقصد منها المزاح فى أول الأمر ... والآن يبدو أننا وصلنا إلى الجزء المنهار من الطريق، وعلينا أن نترك السيارة هنا.

وغادر الجميع السيارة وسار طريف في المقدمة ليُرشدهم إلى القلعة، وكان فهد خلف طريف وكأنما شعر أنه سيلقى سيده قريباً، وظل طريف يقود الجماعة مستعيناً بين الفينة والفينة بضوء بطاريته. وكان الجميع يسيرون في صمت تام، وقد أخذ العرق يتصبب من جباههم، بسبب حرارة الجو. وأخيراً وصل الجميع إلى سور القلعة، فتوقف طريف وقال لسمير: هذا هو سور القلعة فكيف ندخل؟

فقال سمير: أرشدنا إلى الباب الذي أخبرتني عنه.. لست أعنى الباب الذي رأيت الرجلين يدخلان منه، بل الباب الآخر

فقادهم طريف إليه وهو يقول: ولكني أخبرتك أن هذا البابَ مُغلق أيضاً!

فلما وصلوا إلى الباب أرسل سمير شعاعاً خاطفاً من بطاريته ليفحص الباب، فألفاه بابا متيناً من خشب البلُّوط، فأشار إلى أحد

رجاله فتقدم إلى الباب وفى يده مجموعة عجيبة من المفاتيح المختلفة الأشكال والأحجام وأخذ يولجها الواحد بعد الآخر فى قفل الباب محاولاً فتحه، فلم يوفق. وأخيراً نظر إلى سمير وقال له هامساً: لن أستطيع فتح الباب بهذه المفاتيح فإنه ليس قفلاً عتيقاً، بل هو من نوع حديث جداً ركب منذ وقت قريب لهذا الباب.

وشعر طريف بخيبة أمل عندما. ذلك، ولكن سميراً أشار إلى رجل آخر فتقدم من الباب وفى يده جهاز عجيب الشكل ذو فوهة مدببة، وأخذ طريف يحملق فيها، وفجأة انطلق من الفوهة أزيز خافت ثم تبعه لهب أزرق شديد له فحيح كفحيح الأفعى. وسلّط الرجل اللهب على الخشب فوق موضع القفل فسرعان ما احترق، ودار الرجل باللهب حول القفل من جميع الجهات، فانفصل عن الباب نفسه، وسُرَّ طريف لهذه الحيلة، ودفع سمير الباب بهدوء وهو يقول: هيا بنا!! وكونوا جميعاً على أهبة الاستعداد.

٣- الكمين

تسلل الرجال خلف طريف بهدوء إلى داخل الفناء، وأغلق الرجل الأخير الباب وأحكم إغلاقه بقطعة صغيرة من الخشب حتى لا يفتحه الهواء. وقال طريف: سأذهب لأرى ما إذا كانت نوارة نائمة في

مخبئي حتى نعلم منها آخر الأنباء، ولكي تهرب مع إلهام وأنسام أيضاً عندما يحين الوقت.

وانتظر الرجال في ظلال القلعة، وكان القمر قد بدأ يبزغ منيراً الفناء، وتقدم طريف من الصخور وتسلقها إلى مخبئه فقوبل بصوت عال يحييه: ضع البراد على النار!! افتح كتابك!! . . .، فهمس مذعوراً: اسكتي يا كيكي!

وسمع طريف صوت حركة داخل المخبأ.. فنظر، ثم قال: نوارة! هل أنت هنا؟ إني طريف . . . لقد عُدْتُ ثانية.

وزحفت نوارة خارجة من المخبأ وقد سرتها عودة طريف وزاد سرورها قول طريف: لقد جاء معي سمير وبعض رجاله وعليك أن تصحبي إلهام وأنسام في عجلة إلى المنزل، أما أنا وأسامة فسنبقى لنرى ما يحدث، إذا سمح لنا سمير بذلك.

فقالت نوارة في إصرار: ولكني أريد أن أبقى مع أسامة.

فقال طريف: إنك ستفعلين ما يقوله سمير.

فقالت نوارة: وكيف تستطيعون إخراج إلهام وأنسام من الغرفة السرية؟

فقال طريف: هذا أمر سهل، فما علينا إلا أن نجذب المقبض

الحديدي الذي في الردهة فينفتح الباب السري ... ولكن أخبريني: أهما بخير؟

فقالت: نعم!! وقد قامت كيكي أمس بضجة كبيرة وسمعها الرجال فأطلق أحدهم الرصاص عليها.

فقال طريف: إنني مسرور لأنك لم تصابى بأذى.

فقالت نوارة: لقد ظن الرجال الأشرار أن هناك من كان يسخَرُ منهم بالليل فظلوا يسألون إلهام وأنسام أسئلة كثيرة هذه الليلة ويصرخون فيهما ويتوعدونهما حتى بكت أنسام واضطرت إلهام أن تخبرهم بأن الببغاء كيكي هي التي قامت بكل تلك الأصوات في الليلة الماضية.

فقال طريف: هيا بنا نذهب إلى سمير لنخبره بذلك.

وتوجه طريف مع نوارة إلى سمير ورجاله الذين كانوا متوارين في الظلال، وسألها طريف وهما سائران: هل تعلمين مكان الرجال الآن؟ وهل هم في الغرفة السرية؟

فقالت نوارة: إنهم ليسوا فى القلعة نفسها وقد يكونون في الغرفة السرية.

وقال طريف لسمير: هذه هي نوارة التي أخبرتك عن شجاعتها.

فألقى سمير عليها بضعة أسئلة أجابت عنها بخجل، وبدا من إجابتها أنه من المحتمل أن يكون الرجال في الغرفة السرية، فقال سمير لطريف: سنذهب إلى الباب السري وستجذب أنت المقبض وسيراقبك واحد من رجالي حتى يعرف كيفية فتح الباب، وبمجرد أن ينفتح الباب سنقف عند رأس السلم ونأمرُ الرجال بتسليم أنفسهم وستكون مسدساتنا مصوبة إليهم جميعاً.

فقال طريف: حسناً!! ولكني أخشى أن تفزع إلهام وأنسام.

فقال سمير: اطمئن!! فسأحذرها لكي تبتعدا عن الخطر وسأعمل على أن تصعدا مسرعتين إلى الخارج ... وعليك يا نوارة أن تصحبيهما إلى المنزل فور خروجهما . . . أهذا واضح؟

فقالت نوارة بتصميم وعزم: إنني أريد البقاء مع أسامة!

فقال سمير: هذا غير ممكن، وسيعود أسامة معنا في الصباح والآن هل فهم كل منكم ما يجب عليه عمله.

أَوْماً الجميع بالإيجاب، وتقدموا بهدوء نحو القلعة المظلمة الصامتة الرابضة فوق التل حتى دخلوها. فتقدم طريف ومعه أحد الرجال إلى مكان المقبض، وأرشدت نوارة سميراً وباقي الرجال إلى مكان الباب السري. وجذب طريف المقبض فانبعث صوت الاحتكاك، ورأى سمير ورجاله الباب السري ينفتح. وظهرت أمامهم الفتحة والسلم

المؤديان إلى الحجرة. وكان ضوء المصباح ينبعث فينير الغرفة ويصل إليهم. ووقف سمير ساكتاً يُنصِتُ، ولكنه لم يسمع أي صوت. فسار طريف إليه على أطراف أصابعه وقال: من المحتمل أن يكون الرجال قد انصرفوا عن طريق الممر السري ولا يوجد غير إلهام وأنسام وأسامة فقط.

فصاح سمير بصوت جهوري: مَنْ هناك؟! أجب حالاً! فوصل إليهم صوت إلهام الخائف يقول: نحن فقط! من أنتم؟!

فصاح طريف: إنه أنا ومعي سمير!! هل أنتما وحدكما؟

فقالت إلهام: نعم! هل سمير معك؟

واندفع طريف يهبط في الدرجات فطارت إليه أنسام تحتضنه وهى تبكى.. وتبعه سمير فأسرعت إليه إلهام أيضاً مسرورة. وتبع باقي الرجال سميراً ما عدا واحداً ظل في الخارج للحراسة. وجذب سمير المقبض الذي فى الغرفة فأغلق الباب السري. وبعد لحظات جذب الرجل الذي تركوه في الخارج المقبض كما كان متفقاً عليه فانفتح الباب ثانية، فقد أراد سمير أن يتحقق من أنه يستطيع الخروج من هذا الطريق وقال: ليس لدينا وقت نضيعه ... أين أسامة؟

فقالت أنسام: لقد اختفى.. فإننا عندما نزلنا هنا في هذا المساء لم نجده. ولا نعرف أن كان قد هرب أو قبض عليه الرجال، فهو لم

يترك لنا ورقة أو مذكرة. ولكنني أرجح أنه قد ذهب يستكشف ذلك الممر السري خلف هذه السجادة.

وقالت إلهام فجأة: إن الرجال سيعودون بعد قليل فقد سمعت أحدهم يقول ذلك باللغة العربية. وسيكون اجتماعهم الليلة الاجتماع الأخير هنا لأنهم يحتفظون بأوراقهم وخرائطهم في هذا المكان.

فقال سمير: أين هذه الخرائط؟

فقالت إلهام: إنها في هذا الدرج، ولكنه مغلق بالمفتاح.

فقال سمير: حسناً؟! والآن عليك يا إلهام أن تذهبي مع أنسام ونوارة إلى المنزل، وتمكثي هناك حتى نعود، وسيقودكم زميلنا الذي في الخارج إلى الباب الذي جئنا منه.

ولكن إلهام لم تكن تريد أن تنصرف قبل أن تعرف مصير أسامة، فقالت: ولكن!...

فقال سمير على الفور: لا أريد اعتراضاً.. إنني الرئيس هنا! فانصرفن وسنكون معكن غداً.

وصَعِدَت البنات إلى الخارج، وقادهن الرجل إلى الباب وهو يقول بصوت خافت: لا شك أنكن تعرفن الطريق جيداً!

وعاد الرجل إلى مكانه وهو يعجب كيف تستطيع هؤلاء البنات معرفة طريقهن. وكان الباب السري قد أقفل ثانية، وكان سمير ورجاله في الغرفة منهمكين فى ارتداء الحلل الحديدية، فقد قرر سمير أن يحضر الاجتماع الذي سيعقده ذو الرقبة المجروحة. وعين سمير لطريف مكاناً يقف فيه فى نهاية الحجرة حتى يكون بعيداً عن أي صراع قد ينشب بين رجاله وعصابة ذي الرقبة المجروحة، فمضى طريف يلبس. حُلَّته وقد أهاجه الحماس الذي تولد عن المغامرة المرتقبة.

وكانت نوارة قد أخذت كيكي معها وهى تصيح احتجاجا لأنها كانت تريد البقاء مع طريف، إلا أنه لم يكن من الحكمة إبقاء تلك الببغاء الثرثارة، فإنها كانت كفيلة بفضح الخطة كلها، ولكن فهداً ظل في الحجرة فقد نسيه طريف، كما أنه أسرع يختبئ تحت السرير مكان سيده، وكأنما أسعده أن شم رائحته في المكان الذي اختفى فيه هذه المرة. وسرعان ما عادت جميع الحلل الحديدية إلى أماكنها ولم يبق خالياً منها سوى ثلاث فقط. وكان أحد الرجال ضخماً فمضى يشكو من ضيق الحلة، فقال سمير: والآن! أريد سكوناً تاماً!

٤ - المغامرة تقترب من ذروتها

خيل لسمير أنه سمع صوتاً، لكن الوقت أخذ يمضى دون أن يحدث شيء. فقال: أرجو أن تستطيع البناتُ أَن يَصِلْنَ إلى المنزل في سلام، فإن هبوط هذا التل فى الليل ليس عملاً سهلاً.

فقال طريف: إنهن سينجحن فى الوصول إلى المنزل ولا سيما أن نوارة تقود الجماعة، فهي على علم بكل شبر من الأرض في هذه الناحية وتستطيع أن تجد طريقها وهي مغمضة العينين!

وساد السكون مرة أخرى ومضى الوقت والجميع يعانون ما يعانون من الحرارة الشديدة داخل تلك الحلل الحديدية. وأخذ العرق يتفصد من أجسادهم، وفجأة سمعوا صوتاً يشبه صوت باب يفتح، وبعد لحظة اهتزت السجادة التي على الحائط ثم رفعها شخص من الخلف، وحدق الرجال المختبئون من خلف أقنعتهم الحديدية ليروا القادم. ودخل رجل وعلّق طرف السجادة على الحائط بطريقة تسمح للآخرين أن يدخلوا. ورأى طريف الفتحة التي كانت تختفى خلف السجادة، وما لبث أن رأى عدة رجال يقبلون واحداً بعد الآخر من تلك الفتحة ويدخلون الحجرة، وكانوا يصحبون معهم .... أسامة!!!! ودخل الرجل الأشعث أولاً وتبعه الرجل الملتحي الذي يلقبه سمير بذي الرقبة المجروحة وهو يجر أسامة، ويداه مربوطتان خلف ظهره، ثم تبعه ثلاثة

رجال غلاظ قساة تدل نظراتهم وقسماتهم على أنهم الشر كله ...
ودفع الرجل الملتحي أسامة إلى أحد المقاعد، واتضح أنه لم يقع في قبضتهم إلا منذ لحظات. فقد صاح الرجل الملتحي: منذ متى وأنت هنا؟! وماذا تعلم عنا!؟

فقال أسامة في شجاعة: لقد جئتُ مع الفتاتين وقد كنت مختبئاً تحت السرير. إنكم لم تبحثوا تحته، ولكنى لم أكن أقصد شراً، فقد جئنا لكي نلعب فى هذه القلعة القديمة، ولم نكن نعلم أنها ملك لأحد...!!

فصاح ذو الرقبة المجروحة في الرجل الأشعث: أحضر البنتين وسنحاسبهم جميعاً، فإني لا أريد أن يُفْسِدَ عَبَث هؤلاء الأطفال أعمالي.

فذهب الرجل الأشعث إلى الفراش وأزاح الستائر جانباً ووقف ينظر مذهولاً، فلم تكن إلهام أو أنسام في السرير. وقال في صوت مأخوذ: إنهما ليستا هنا!

فالتفت الرجل الملتحي إليه قائلاً: لا تكن غبياً أحمق، فيجب أن تكونا فى أي مكان في الغرفة لأنهما لا تستطيعان مغادرتها.

فقال الرجل الأشعث: ربما استطاع هذا الغلام فتح الباب من أعلى وأطلق سراحهما.

فاستدار الرجل الملتحي بسرعة نحو أسامة غاضباً، وانحنى الرجل الأشعث يبحث تحت السرير، وكان أسامة مَشْدُوها لاختفاء أختيه، ولكنه لم يظهر ذلك للرجال. وسأل الرجل الملتحي أسامة في خشونة: هل أطلقت سراح البنتين؟

فقال أسامة: لا! لقد أخبرتكم أني كنت مختبئاً هنا ولم أصعد إلى أعلى.

وقال الرجل الملتحي بلهجة قاسية كريهة: خير لك أن تخبرنا بكل شيء.

ولكن أسامة ظل صامتاً. وهو ينظر إلى الرجل دون أن يبدو عليه خوف. فاستشاط الزجل الملتحي غضباً وأهوى بيده على وجه أسامة بقسوة، وكانت الضربة شديدة فسقط أسامة عن كرسيه، ولكنه استجمع قوته ونهض ثم جلس على الكرسي ثانية، وصاح الرجل الملتحي: ألا تتكلم؟

ولكن أسامة ظل صامتاً. وشعر طريف بالفخر لشجاعة أسامة، ولكنه أصابه رعب شديد عندما رأى من خلف قناعه الحديدي الرجل الملتحي وهو يخرج مسدساً ويضعه على المائدة قائلاً: إن لدينا وسائل خاصة لِجَعل أمثالك يتكلمون...

ولكن أسامة ظل صامتاً متمالكا نفسه حتى لا يبدو عليه الخوف. وقبل أن يفعل الرجل الملتحي شيئاً اندفع فهد من مخبئه كالبرق وقفز إلى حجر أسامة. وقفز الرجالُ فَرَعين، واختطف الرجل الملتحي مُسَدَّسه، ولكنهم لما تبينوا أنه لم يكن سوى ثعلب صغير عادوا إلى أماكنهم محنقين مغيظين، وصوب الرجل الملتحي ضربة قوية إلى فهد أرسلته يتدحرج على الأرض وكشر الثعلب عن أسنانه البيضاء الصغيرة، وصاح أسامة في الرجل: لا تُؤذه.. إنه ليس سوى ثعلب صغير، وهو ثعلبي.

فقال الرجل الأشعث مزمجراً: وكيف دخل إلى هنا؟! هل دخل عندما خرجت البنتان؟

أدرك أسامة شيء من الحيرة وقال: إني لا أعلم كيف خرجتا ولا كيف دخل الثعلب!

فقال الرجل الأشعث: إذا كان هذا الغلام صادقاً، فمعنى ذلك أن هناك آخرين حولنا ويحسن أن ننهى أعمالنا هنا ونرحل.

فز مجر الرجل الملتحي: هل أخافك عبث هؤلاء الأطفال؟! إنهم يستحقون عَشْرَ جَلْدَات ساخنة، وسأعطيها لهذا الغلام قبل أن ننصرف.

وقبع فهد عند قدمي أسامة ساكناً، فقد كان خائفاً من هؤلاء الرجال. وأشار الرجل الملتحي إلى أحد الرجال، فذهب إلى أحد الأدراج وأخرج منه مجموعة من الوثائق والخرائط وضعها على المائدة أمام الرجل الملتحي. ثم بدأت بين الرجال مناقشة طويلة بلغة غريبة فلم يفهم أسامة أو طريف شيئاً منها، ولكن سميراً فهم كل شيء، فقد كان يتقن عدة لغات إتقاناً تاماً. وظل أسامة جالساً في مكانه وهو يحاول أن يخفف ضغط القيود على يديه، فقد كانت تؤلمه وتحز في رسغيه. وأخذ أسامة يفكر متعجباً في هروب إلهام وأنسام وهو يتساءل:

يا تُرى!! هل جاءت النجدة؟! هل استطاع طريف أن يخرج من القلعة ويأتي بمن ينقذهم؟

وتمنى أسامة لو أنه كان واقفاً في حلته الحديدية لا يشعر به أحد بدلاً من هذه القيود القاسية، ونظر إلى الحلة الحديدية، واستطاع نظره الحاد أن يلمح شيئاً غريباً، فقد كانت هناك عينان تلمعان خلف القناع الحديدي بدلاً من الفراغ المعهود...!!! ونظر أسامة إلى الحلل كلها الواحدة بعد الأخرى فراعه أن وجد معظمها تطل من أقنعتها عيون لامعة، فشعر بالخوف، ولم يتمالك أن ارتعد، ولاحظ الرجل الملتحي ذلك فقال له: هل بدأت تخافُ مما يحدث لأمثالك من المتطفلين. ربما يطلق الخوف لسانك!

ولم يقل أسامة شيئاً، ولكنه عاد يفكر في الأمر بروية، فوجد أنه من غير المعقول أن يكون المختبئون في الحلل الحديدية أعداء له، بل لابد أن يكونوا أصدقاء. وقال فى نفسه: لابد أن طريفاً تمكن من الهرب ثم عاد بالنجدة، وهم يتبعون حيلتي في الاختفاء لكي يعرفوا ما يحدث هنا.

وبعد قليل جمع الرجل الملتحي أوراقه ونهض واقفاً وقال لأسامة: لقد انتهينا من عملنا، ولن نسعد برؤية وجوهكم مرة أخرى، ولكني سألقنك درساً جزاء لك على تجسسك علي. ناولوني حبلاً.

فقفز أسامة وصاح: إياك أن تقترب مني!

وأمسك الرجل الملتحي بالحبل، ولكنه توقف مذهولاً عندما رأى إحدى الحلل الحديدية تتحرك من مكانها وترفع يدها وإذا بها مسدس وقال صوت آمر: لقد انتهت المهزلة ووقعت في قبضتي ياذا الرقبة المجروحة.

ونظر ذو الرقبة المجروحة ورجاله في يأس إلى المسدسات التي أحاطت بهم من كل جانب. وصاح سمير :ارفعوا أيديكم إلى أعلى!...

وبدأ الرجال يرفعون أيديهم، ولكن ذا الرقبة المجروحة دفع المصباح فجأة فتحطَّم على الأرض وساد الغرفة ظلام دامس.

٥- المعركة

ساد الظلام وصاح سمير: أسامة!! طريف!! اختبئا تحت السرير!

وأسرع أسامة وطريف واختبأ كما أمرها سمير. وتواثب الرجال وامتلأت الحجرة بأصوات الصراع والضرب، وأحدثت الحلل الحديدية التي يرتديها سمير ورجاله أصواتاً مدوية، وبدا كأن بعض الرجال يسقطون ويتدحرجون فوق الأرض وهم يتبادلون اللكمات والضربات وسط جلبة عظيمة، ولكن أحداً لم يجرؤ على إطلاق الرصاص خشية

أن يصيب زميلاً له. وفجأة انبعث صوت احتكاك مألوف، وأدرك أسامة وطريف أن الباب السري ينفتح، ولكنهما لم يتبينا الشخص الذي فتحه: أهو واحد أصدقائهم أم واحد من هؤلاء الطغام الأشرار؟!

كان أسامة قد حاول أن يعرف طريقة فتح الباب من الحجرة، ولكنه يتمكن من ذلك، وسرعان ما تبين أن ذا الرقبة المجروحة أو أحد رجاله هو الذي فتح الباب، فقد صاح سمير بالرجل القائم بالحراسة في الخارج: انتبه يا خليل!! أطلق النار على من يحاول الصمود على السلم!

ووقف خليل فوق قمة السلم، ولكنه لم ير شيئاً لشدة الظلام، ولم يستطع أن يتبين سوى صوت المعركة الدائرة، ولم يفطن إلى أن هناك رجلاً يتسلل صاعداً فى السلم بهدوء شديد إلا عندما وثب الرجل عليه - وكان الرجل ذا الرقبة المجروحة - وكال له ضربةً شديدة على رأسه وانطلق هارباً، فسقط خليل على الأرض وكان من حسن حظه أن ذا الرقبة المجروحة كان قد فقد مسدسه وإلا لأطلق الرصاص عليه. وما كاد يستجمع شتات نفسه وينهض حتى أصيب بضربة أخرى أفقدته الرشد وأرسلته يتدحرج إلى أسفل السلم، وكان الرجل الأشعث هو الذي ضربه الضربة الثانية وانطلق خلف زميله بعد أن جذب المقبض الحديدي فأغلق الباب السري. وانتهت المعركة بهزيمة الرجال الثلاثة الباقين. ووجد سمير بطاريته فأضاءها، وكان الرجال الثلاثة قد

أصبحوا أسرى فى أيدى رجاله. وأسرع سمير إلى طريف يعينه على النهوض، فأسرع طريف يتخلص من دروعه ويحل وثاق أسامة. ودار سمير بعينيه فى الموجودين وظهرت على وجهه علامات الحسرة والأسف، لأنه لم يجد الرجلين اللذين كان يهمه أن يقبض عليهما وهما ذو الرقبة المجروحة والرجل الأشعث، وصاح سمير ينادى: خليل! خليل! هل أنت في مكانك؟

وكان خليل قد بدأ يفيق ويسترد حواسه فأجاب: نعم يا سيدي!

فصاح سمير: هل قبضت على الرجلين اللذين صعدا في السلم؟

فأجاب خليل فى انكسار: لا! فقد باغتاني واستطاعا الفرار.

فصاح سمير ساخطاً: أي أحمق أنت! لقد كنت في مركز ممتاز وكان في إمكانك أن تصد جيشاً كاملاً.

فقال خليل معتذراً: لقد كان الظلام حالكاً فلم أستطع أن أرى شيئاً.

فقال سمير: لقد تركت اثنين من أخطر الرجال يهربان تحت سمعك وبصرك، ولا بد أنهما قد أَمْعَنَا في الفرار الآن وابتعدا إلى حيث لا يمكن اللحاق بهما.

وأسرع سمير إلى طريف يعينه على النهوض . . .

ونظر أسامة وطريف إلى خليل فألفياه عملاقاً ضخم الجثة، فخيل إليهما أنه من السهل عليه أن يتغلب وحده على رجلين. وقال سمير آمراً رجاله: شُدُّوا وَثَاق هؤلاء الرجال. فأقبل رجاله ينفذون الأمر بدقة، وسرعان ما كان الرجال الثلاثة الأسرى قد تم تقييدهم. وقال سمير: فلنلق نظرةً على تلك الوثائق والخرائط.

وقام أحد الرجال بنشر الأوراق على المائدة أمام سمير، فانحنى فوقها يدرسها، ثم قال: لقد احتوت هذه الأوراق معلومات بالغة الأهمية، وهى معلومات لا تقدر بمال، ولا شك أن ذا الرقبة المجروحة سيجن لأنه اضطر إلى ترك هذه الأوراق في أثناء فراره. إنه من أخطر الجواسيس.

وانتهى سمير من فحص الأوراق فجمعها أحد الرجال وقال طريف لسمير: ألا تقوم باستكشاف ذلك الممر السري لنعرف النهاية التي ينتهى إليها؟

فأجاب سمير: نعم!! سأذهب أنا وخليل ويأخذ باقي الرجال هؤلاء الأسرى إلى القرية عن طريق سفح التل الذي جئنا منه. وأفضلُ أن ننتظر حتى الصباح.

وأخذ أسامة يقص عليهم ما حدث له في أثناء اليوم فقال: بعد أن قضى الرجال فترة طويلة نائمين تركوا الحجرة وصعدوا إلى أعلى،

وكانوا قد تركو مدخل الممر السري مفتوحاً كما هو الآن فانتهزت الفرصة وتسللت خارجا من تحت السرير، وذهبت إلى مَدْخَل الممر السري، وكان هناك باب مغلق، ولكن المفتاح كان في القفل ففتحته، ووجدت نفسى فى ممر ضيق.

فسأل طريف: ألم يكن مظلماً؟

فقال أسامة: نعم، ولكن كانت معي بطاريتي فأضأتها وسرت في طريقي، ووجدت أن الممر ينحدر إلى أسفل. وفى أول الأمر كان الممر يمتد بين كتل من الأحجار ويبدو أن ذلك كان أساس القلعة، وبعد مدة لاحظت أن الممر أصبح منحوتاً فى الصخر الصَّلْدِ.

فقال سمير: أعتقد أنك وجدت أن الممر ينتهى عند سفح التل من الجهة الأخرى.

فقال أسامة: إنني لم أصل إلى نهاية الممر، فقد سمعت أحد الرجال يتبعني فأسرعت إلى الاختباء فوق نتوء صخري بالقرب من سقف الممر.

فقال طريف: وهل عثر عليك الرجل؟

فقال أسامة: لا! وقد تجاوز الرجل مكاني فلما لم يجدني عاد أدراجه، إلا أن زعيمهم ذا اللحية لم يكن ليترك الأمر يمر سهلاً هيناً. فقد نسيتُ أن أغلق الباب المؤدى إلى الممر السري، فأرسل الرجل

يبحث عن السبب، فلما عاد من غير نتيجة أقبل الرجل الملتحي مع رجاله، وأخذ يفتش الممر بدقة، فعثر على وانتزعوني من مخبئي.

فقال طريف: وماذا فعلوا بك عندئذ؟ إنهم لم يأخذوك إلى الحجرة السرية لأن إلهام وأنسام قالتا: إنهما لا تعلمان شيئاً عنك، وإنك اختفيت فجأة دون أن تعلما مكانك.

فقال أسامة: لقد قيدوا يَدَيَّ وقدمي وتركوني في الممر وقالوا لي: إن لك وَلعاً خاصاً بهذا الممر فابق فيه بعض الوقت لتتمتع به. وكانوا يريدون أن يسخروا منى بذلك الكلام، وتركوني في المر مقيداً لا أستطيع أن أتحرك من مكاني في انتظار ما يقررون بشأني. وظللت في مكاني هناك حتى عادوا وأخذوني معهم، وقد حَلُوا القيود التي كانت تربط قدمي حتى أستطيع أن أسير، وقادوني معهم إلى الحجرة السرية هنا كما رأيتم.

فقال سمير: لقد قضيت وقتاً عصيباً حقاً!

فقال أسامة: نعم! هذا صحيح، ولكن أكثر ما أخافني هو رؤية عيونكم تلمع من خلف الأقنعة الحديدية لتلك الملابس والدروع الحديدية القديمة، فقد كنت خالي الذهن عن وجود أحد منكم، وفجأة رأيت عيونكم تلمع ففزعتُ، ولكنى أدركت بعد تفكير أنكم لابد أن تكونوا أصدقاء.

٦- الممر السري

قال أسامة: إني أحس جوعاً شديداً، فقد مضت مدة طويلة منذ أكلت لآخر مرة.

فقال سمير: وأنا أيضاً أشعر بالجوع، ولكني أرى كثيراً من عُلب الطعام المحفوظ في ذلك الركن من الحجرة.

وذهب أسامة وطريف إلى حيث كانت علب الطعام، وأخذا ينتقيان بعض علب اللحوم والفاكهة المحفوظة، ثم عادوا وجلس الجميع يتناولون طعامهم. وأقبل فهد يطلب نصيبه من الطعام من أسامة، ولكنه وجد الجميع يسارعون إلى إعطائه بعض الطعام، فمضى يلتهمه راضياً.. وبعد أن فرغ الجميع من الطعام قال أسامة: لقد أصبح الجو في هذه الغرفة شديد الحرارة، وسأصعد لأشم الهواء الرطب النَّدِي، وأجلب لكم ماء بارداً من المِضَخَةِ.

وتناول أسامة بطاريته وأخذ يرتقى السلم، وما لبث الموجودون في الحجرة أن سمعوه يصيح: سمير.. إن الباب السري مغلق!

فأسرع نحوه وهو يصيح غاضباً: ومن الذي أغلقه؟! ومتى أغلقه؟

ووجد سمير الباب مغلقاً حقيقة، فعاد مع أسامة إلى الحجرة وأخذ يدور بعينيه في جميع أرجاء المكان باحثاً عن المقبض الذي يفتح

الباب، ولكنه لم يجد شيئاً، فاستدار إلى الأسرى الثلاثة قائلاً: من أين يفتح هذا الباب؟ هيا أخبروني وإلا هشمت وجوهكم القبيحة.

فقال أحد الرجال: هناك في ذلك الركن.

فذهب سمير إلى حيث أشار الرجل وسلط ضوء بطاريته على المكان، ولدهشته الشديدة وجد المجرى الذي يتحرك فيه المقبض فارغاً ولم يكن المقبض نفسه فى مكانه. فالتفت إلى الرجل وقال: وأين المقبض نفسه؟

فابتسم الرجل شامتاً وقال: في جيب ذي الرقبة المجروحة، فقد انتزعه واحتفظ به مند أن عثرنا على البنتين.

فقال أسامة: لم يبق أمامنا سوى الخروج عن طريق الممر الذي ذهبت أستكشفه أمس.

فقال سمير: إنك على حق، وإذا مكثنا هنا أكثر من ذلك فسنموت من شدة الحرارة. فلنجرب حَظَّنَا فى هذا الممر، وسأتقدمكم.

ودلف سمير إلى الفجوة التي فى الحائط ودفع الباب فانفتح، فدخل إلى الممر مضيئاً بطاريته. وتبعه أسامة وطريف ثم تبعهم الأسرى وحراسهم. وكان الممر ضيقا أول الأمر، ولكنه كان مستقيماً، ورأى الجميع على ضوء البطاريات أنه منحوت في أحجار أساس القلعة. وقال سمير: إنك مكان قديم عجيب. وتحكى الأساطير التي تنسج حوله

أن هناك أكثر من حجرة سرية واحدة، ومن المحتمل أن يكون هناك عدة ممرات وحجرات أخرى.

وظلت الجماعة تتقدم فى الممر وبعد مدة كانت جدرانه صخوراً صلدة، وشعر الجميع أن الهواء أصبح أقل حرارة من جو الغرفة الساخن، فانتعشوا قليلاً. وأخذ الممر ينحني مرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال. وقال سمير: يخيل إلى أن بعض أجزاء هذا الممر طبيعية، وأن بعضها الآخر نحته إنسان.

وكان الممر يمتد مخترقاً قمة التل، ويميل قليلاً إلى أسفل، أما الآن فقد ازداد انحداره. وأخذ فهد يتواثب حول ساقي أسامة وكأنه يعلن أنه قد تعب ويريده أن يحمله، فأخذه أسامة بين يديه ثم وضعه فوق كتفيه وواصلو سيرهم حتى قال أسامة وهو يشير إلى سقف الممر: انظروا!! هذا هو النتوء الذي كنت مختبئاً فوقه، وما كان ذو الرقبة المجروحة ورجاله بمستطيعين أن يعثروا على لولا أنهم كانوا يبحثون وهمهم الأول أن يعثروا علي، ولذلك كان بحثهم دقيقاً.

واستأنف الجميع سيرهم وقد بدأ طريف يشعر بالتعب فقال: ألا ينتهى هذا الممر؟

وفجأة ازداد انحدار الممر وكاد سمير يفقد اتزانه، ولكنه تمالك نفسه وتوقف قائلاً: لقد ازداد انحدار الممر فكيف السبيل إلى السير فيه؟! هذه هي درجات منحوتة فى الأرض لكى تساعد على السير.

وأخذ سمير ينزل فى الدرجات محاذراً وهو يتحسسها بقدمه، وتبعه الباقون محاذرين مثله. وأطفأ سمير بطاريته فجأة فرأى الجميع ضوء الصباح المبكر أمامهم، فأسرعوا نحو الفتحة التي يأتي منها الضوء، وخرج سمير منها إلى سفح التلى على الجانب الآخر منه وتبعه أسامة وطريف وباقي الرجال، ووجدوا أن الفتحة مغطاة من الخارج بكثير من النباتات الشوكية فتخفيها عن الأعين. وقال سمير: ها قد خرجنا سالمين. وأخذوا جميعاً يتأملون المنظر الذي بدا أمامهم في دهشة بالغة، فقد وجدوا أنفسهم واقفين فوق سفح شديد الانحدار، ورأوا عند أسفل التل مزرعة كتلك التي يعرفها الأطفال، ولكنهم رأوا على بعد عدة مبان حديثة مبنية بين الأشجار الكثيفة، فلم يكن يستطيع أن يراها أحد إلا إذا صعد فوق قمة التل، وكان المكان كله محاطا بالأسلاك الشائكة، فجلسوا يستريحون من عناء السير فى الممر. وقال أسامة: ما هذه الأبنية الغريبة؟! إن شكلها غير عادى! ولماذا بنيت في هذا المكان المختفي عن الأعين؟

فقال سمير: إنني لا أعرف كنه هذه الأبنية، ولكني أعلم أنها منشآت خاصة تجرى فيها أبحاث على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة للوطن. والأبحاث تجرى هنا بصفة سرية ولذلك بنيت هذه المنشآت في هذا المكان.

فقال أسامة: إذا فهذا هو المكان الذي كان ذو الرقبة المجروحة يسعى للتجسس عليه.

فقال سمير: نعم! لقد كان يسعى لمعرفة هذه الأسرار. ولا شك أنه فرح الفرح كله عندما كشف المكان الذي تجرى فيه البحوث، ووجد بجانبه تلاً على قمته قلعة قديمة معروضة للبيع.

فسأله طريف: وهل اشترى القاعة؟

فأجاب سمير: نعم! فقد قمت بتحريات لكى أعرف صاحب القلعة. ولكن ذا الرقبة المجروحة لم يشتر القلعة باسمه، بل دفع رجلاً آخر إلى شرائها، ولكني كشفت ذلك أيضاً. وقد كان ذلك الرجل الآخر يتظاهر بأنه من هواة المباني القديمة.

فقال طريف معجباً: إنك ماهر جداً.

فقال سمير: إن هذا عمل عادي لا يحتاج إلى مهارة. وقد ظننت أن يكون ذو الرقبة المجروحة يسعى إلى هذا المكان ليتَّخِذَ منه مخبأً له ولعصابته، إلا أن ظني لم يكن قوياً على الرغم من أنه مخبأ بعيد عن

الظنون لأنه لا سبيل إلى الاقتراب منه، فسفح التل في هذه الناحية لا يمكن تسلقه، كما أن المكان محاط بأسلاك شائكة، ومن المحتمل أن يكون بينهما أسلاك مكهربة أيضاً.

فقال أسامة: إذا كان الأمر كذلك فكيف توصل إلى الحصول على المعلومات التي يريدها.

فقال سمير: لقد كان يستخدم آلة تصوير حساسة دقيقة..

ثم أشار إلى مكان بجوارهم وقال: انظر!! لقد حفر ذو الرقبة المجروحة وأعوانه أخدوداً يمتد تحت الأسلاك الشائكة، ولا شك أنهم كانوا يزحفون عن طريقه ويخرجون من الناحية الأخرى من الأسلاك.

فقال طريف: ألم يكن من الممكن أن يراهم أحد؟

فقال سمير: إن أحداً لم يخطر له أن من الممكن الوصول إلى هذه الناحية الشديدة الانحدار

فقال طريف: كما أن أحداً لم يكن يعلم بوجود الممر السري الذي يصل القلعة بسفح التل ... ولكن كيف عرف ذو الرقبة المجروحة هذا؟

فقال سمير: أعتقد أنه بحث عن تاريخ القلعة وعثر على تصميمها. وقد كان صاحب القلعة الأخير مجنوناً، فمضى يبنى الحجرات السرية

والممرات الخفية، ويزودها بطرق عجيبة لفتحها وإغلاقها. وقد وجد ذو الرقبة المجروحة أن الغرفة السرية ملائمة لأغراضه، كما أن الممر السرى كان مفيداً له، فهو يوصله إلى المكان الذي يريده من غير أن يَضِلَّ.

فقال أسامة: إنه رجل جرئ!

فقال سمير: نعم! وأكثر الجواسيس يتصفون بالجرأة. ولكن هذا الرجل هو أسوؤهم وهو مكروه كرهاً شديداً حتى في بلاده، فهو لا يتورع عن خيانة غيره متى أتيحت له الفرصة ولو كان أعز أصدقائه، وأخشى أن يكون قد تمكن من الفرار الآن، ومع ذلك فإني مسرور لأنه ترك الوثائق والمستندات ولم يستطع أن يأخذها.

فقال أسامة: وما دام قد ترك الوثائق والمستندات فإنه لن يُلحق بنا ضرراً.

فقال سمير: قد يستطيع ذلك إذا تمكن من أن يتذكر تفاصيل الموضوع.

فقال أسامة: إنني أرجو ألا يستطيع أن يتذكر شيئاً، وكم كنت أتمنى لو أننا قبضنا عليه وعلى زميله الأشعث، فإني أشعر بكره شديد لهما.

وقال سمير: لقد تركت المجرمين الكبيرين يفلتان من يدى، ولم أقبض إلا على هؤلاء الأوغاد الثلاثة، وهم ليسوا سوى ثلاثة من

الصعاليك مستعدين للقيام بأي عمل فى سبيل المال. وكان يجب على أن أتوقع أن ذا الرقبة المجروحة قد يعمد إلى تحطيم ذلك المصباح ليستعين بالظلام على الهرب. لقد أضعت فرصةً لا تُعوَّض للقبض عليه.

ونهض سمير واقفاً وهو يفكر في الطريقة التي يستطيع بها أن يمر من هذه الأسلاك الشائكة، ولم يبد على أحد الاستعداد للزحف من خلال الأخدود الذي شقه ذو الرقبة المجروحة. وفي هذه اللحظة رأى سمير رجلا يخرج من أحد الأبنية، فصاح يناديه، فنظر الرجل إليهم وهو في دهشة وصاح: من أنتم؟ !

فصاح سمير: إننا أصدقاء، وأنا أريد أن أقابل المدير، فأنا أعرفه.

واختفى الرجل في أحد الأبنية، وفجأة أشار طريف إلى بعض الشجيرات القصيرة وقال: سمير!! انظر!! هذه هي آلة التصوير التي كان يستخدمها ذو الرقبة المجروحة. إنها من أحسن الأنواع في العالم وأدقها. ليتني أحصل على واحدة مثلها!

فقال سمير: قد أستطيع تدبير الأمر بحيث تأخذ هذه الآلة مكافأة على النتيجة التي سنصل إليها بسبب مغامرتكم.

وفى هذه اللحظة خرج رجل من البناء الذي دخله الرجل الأول وصاح: من هناك؟

فقال سمير: إنني سمير.. ألا تذكرني؟

فصاح الرجل: وكيف وصلت إلى هذا المكان؟! سأبعث برجلين فوراً ليشقا لك طريقا وسط الأسلاك.

وسرعان ما وصل الرجلان وشقا طريقا مرَّ منه سمير وأسامة وطريف والرجال. ومضوا يهبطون فى التل وهم ينزلقون بين آونة وأخرى لشدة انحداره. وانهمك الرجلان في إصلاح الأسلاك مرة أخرى. ولما وصلوا إلى حيث كان الرجل حياه سمير ثم دخل معه إلى مكتبه وبقى الآخرون في الخارج، وبعد فترة من الوقت خرج المدير وسمير، وأصدر المدير أوامر، فأقبل ثلاثة من رجاله وساقوا الأسرى إلى غرفة ضيقة ذات باب متين وسجنوهم فيها، ثم أحكموا إغلاقها، ووقف واحد منهم يحرس الباب. وقال سمير: علينا أن ننصرف الآن ونذهب إلى المنزل، أما هؤلاء الرجال فسيرسلون إلى السجن تحت الحراسة المشددة.

فقال أسامة: أعتقد أن المغامرة قد انتهت بذلك.

فقال سمير: مازالت هناك بعض الأمور التي يجب على القيام بها. فيجب أن أقوم ببعض الأبحاث والتحريات، فقد نستطيع أن نقتفى أثر ذي الرقبة المجروحة. إن لحيته الكثة تدل عليه. أما إذا كان قد أزالها فإن الجرح الذي في ذقنه ورقبته سيوجه إليه الأنظار أكثر من لحيته.

وقال طريف: وعلينا أيضاً أن نذهب لإحضار سيارتك من حيث تركناها، وأن نحضر آلة التصوير التي تركتها فى مخبئي عند عُش النسر.

وبعث المدير أحد الرجال معهم ليرشدهم إلى الطريق المؤدى إلى المنزل، فلما تم ذلك عاد الرجل وأكملوا الطريق وحدهم وفهد يجرى في أعقاب أسامة سعيدا بخروجه إلى الهواء الطلق مرة أخرى، ولو علم مقدار معاونته لهم على النجاة بأن أرشد نوارة إلى طريق الدخول إلى القلعة دون الحاجة إلى الأبواب والنوافذ لازدادت سعادته.

٧- نهاية موفقة

كانت أنسام أول من رأى أسامة وطريفاً وسميرا قادمين إلى المنزل مع الرجال، فانطلقت إلى الحديقة تستقبلهم صائحة: أسامة! طريف! هل عدتما حقاً! أأراكما أنا الآن؟! لقد كنا في قلق شديد عليكم جميعاً.

وأقبلت إلهام ونوارة تجريان أيضاً، وصاحت إلهام: هل أنتم بخير؟! ماذا حدث لكم؟!

فقال أسامة: إننا جميعاً بخير. وقد كنا في قلق عليكن في أثناء عودتكن وحدكن في الظلام!

فقالت أنسام: لقد عدنا نعدو في الطريق، وقد تعبنا وتلاحقت أنفاسنا، وحاولنا أن نستريح في الطريق، ولكن إلهام رفضت أن نتوقف خشية أن يلحق بنا أو يقابلنا أحد من الرجال الأشرار

فقال طريف: حسناً فعلت.

فقالت إلهام: ألا تخبرنا بما حدث لكم في القلعة بعد أن تركناكم؟!

فمضى طريف يقص عليهن تفصيل ما جرى. وظهر على وجوه البنات سحابة من الدهشة والفزع عندما أخبرهن بتهديد الرجل الملتحي

لأسامة بالمسدس. ولما انتهى من سرد قصته قالت إلهام: يا لها من ليلة حافلة!...

ونظر طريف حوله ثم قال: أين كيكي؟! إنها لم تأتِ لتحيتي!

فقالت نوارة: إنها تطير في الخارج لتبحث عنك، وكلما أعياها البحث رجعت، ثم تعود ثانية وقد خرجت ولم تعد بعد..

ولم تمض عشر دقائق حتى عادت كيكي وسقطت على كتف طريف وهي تصيح: ضع البراد على النار! أقفل الباب!! هراء!! هراء!! هراء!

ومد طريف يده يُرَبِّتُ رأسها بلطف، واستمرت هي تنصحه بأن يستعمل منديله ويفتح كتابه صفحة ٦.

وأعدت البنات طعام الإفطار للجميع، فلما فرغوا من الأكل أرسل سمير رجاله ليُحْضِرُوا سيارته وقال: إن من حقنا أن ننال قسطاً من النوم بعد أن قاسينا ما قاسيناه أمس.

فصعد أسامة وطريف إلى فراشهما، واكتفى سمير بأن ينام على الأريكة، وخرجت البنات إلى الحديقة يتجاذبن أطراف الحديث، ويتذاكَرْنَ الأحداث التي جرت فى القلعة. وكان فهد قد ذهب لينام مع أسامة، ولكن كيكي لم تكن في حاجة إلى النوم فذهبت إلى الحديقة مع البنات، وظلت تطير بين حين وحين إلى نافذة طريف

لتتحقق أنه موجود. وقالت إلهام فجأة بعد مضى بعض الوقت: هناك أناس قادمون.

فنظرت أنسام وقالت: إنهم رجال سمير!

ووصل الرجال وعلى وجوههم دلائل الاهتمام، وقال أحدهم: أين الرئيس؟؟ إننا نريده!

فقالت إلهام: إنه نائم فلا تزعجوه !

فقال الرجل: آسف يا سيدتي ويجب أن أراه!

فقالت أنسام: هل وجدتم السيارة؟

فقال الرجل: نعم! ولكنا لن نقضى بأنبائنا إلا إليه!

فقالت إلهام: إنه فى غرفة الاستقبال فاذهبوا إليه فدخل الرجال وأيقظوا سميراً، وسمعت البنات أصواتهم يتكلمون بصوت مسموع يدل على الاهتمام الشديد بموضوع الحديث. ولم تمض لحظة حتى خرج سمير مسرعاً مع رجاله، فسألته إلهام: ماذا حدث؟ هل وجدوا السيارة؟

فقال سمير: نعم! لقد وجدوها، ولكنهم وجدوا شيئاً أهم منها"

فسألت البنات الثلاث فى وقت واحد: ماذا وجدوا؟

فقال سمير: لقد وجدوا ذا الرقبة المجروحة وزميله الأشعث في داخل السيارة.

فصاحت البنات في دهشة: كيف؟

فقال سمير: يبدو أنهما عندما هربا من القلعة عثرا بمحض الصدفة على سيارتي حيث تركناها فركباها وانطلقا مُسْرِعَيْنِ. ولعل عجلة القيادة أفلتت من يد السائق أو حدث شيء مثل هذا فهوت بهما إلى هُوَةٍ على جانب الطريق.

فسألته إلهام: وهل قتلا؟

فقال سمير: لا أعلم الحقيقة بعد.

فسألته: ألم يخرجهما رجالك من السيارة؟

فقال: نعم.. لم يخرجوها لأن الأبواب قد التوت ولا يمكن فتحها. إنني في حاجة إلى بعض الأدوات من حظيرتكم لكي نستعين بها على فتح أبواب السيارة وإخراج الرجلين.

فصحبته إلهام إلى الحظيرة حيث انتقى بعض الأدوات، وحملها واحد من أعوانه. ومضى سمير مع رجاله ليتموا مهمتهم، ولم تطلب واحدة من البنات مرافقتهم، فقد كرهن أن يشاهدن مثل هذا المنظر المفجع. وظلت البنات فى الحديقة ينتظرن بفارغ الصبر أن يستيقظ أسامة وطريف لكى يخبرنهما بآخر الأنباء. وأخيراً استيقظ الاثنان وجاءا يعلنان أنهما جاعا مرة أخرى، ولكن الفتيات أسر عن إليهما يخبرنهما بما حدث، فصاح طريف: تصوروا فرحتهما عندما وجدا السيارة، ثم تصوروا شعورهما عندما هَوَتْ بهما السيارة!

وهوت السيارة إلى هوة على جانب الطريق . . .

وعاد سمير بعد بضع ساعات، فأسرع الأطفال لاستقباله، فابتسم سمير وقال: لم يمت واحد من الرجلين، ولكن ذا الرقبة المجروحة أصيب في رأسه إصابة شديدة، وفقد شعوره، ومع ذلك فهي إصابة غير قاتلة، وسيعيش لكى يحاكم على ما اقترفت يداه. والرجلُ الأشعث انكسرت ساقه، وفَقَدَ وعيه.

فقال أسامة: إذاً فقد قبضت عليهما في النهاية. إنها نهاية موفقة!

فقالت إلهام: وماذا حدث للسيارة؟

فقال سمير: لقد تهشَمت وأصبحت غير صالحة للاستعمال. ولكني لست آسفاً، فسيعطونني واحدة أخرى بدلها عندما يعلمون أني قد قبضت على ذي الرقبة المجروحة وزميله الأشعث، ولو أنى أدين لكم بهذا التوفيق، فلو لم أقابلكم لما جئت إلى هنا، ولما قبضت عليهما؟

فقال طريف: ولو لم تأت إلى هنا لما استطعنا الخلاص من الورطة التي وقعنا فيها. يا ترى!! ماذا تقول والدتي عندما تعود وتعلم بما حدث منذ أن سافرت؟

فابتسم أسامة وقال: ستقول إنها لا تتركنا يوما أو يومين إلا ونوقع أنفسنا فى الأخطار والمشكلات.

ثم سأل سميراً: أين ذهب رجالك؟

فأجابه: لقد ذهب خليل إلى البلدة لكي يأتي بالنجدة الطبية. وقد جاء رجال الإسعاف وأخذوا الرجلين إلى المستشفى.

وعندما يفيقان سيجدان رجالي حولهما لحراستهما !

وقالت إلهام: يا لها من مغامرة!! إني لم أكن أحلم أننا سنندمج في مثل هذه المغامرة الفذة عندما جئنا إلى هنا!! لقد كنت أظن أننا سنقضي أيامنا في هدوء ودَعَةٍ، ولكن سرعان ما وجدنا أنفسنا في لجة هذه المغامرة دون أن نسعى إليها. إني أرجو أن نمضي بقية العطلة في هدوء، فقد استمتعنا بقدر من المغامرات يكفينا بقية العام.

وقال طريف: إني أريد أن نذهب إلى القلعة لكي آتى بآلة التصوير من مخبئي، فهل تأتون معي لنلقى عليها نظرة بعد أن تخلصنا من أولئك الأشرار؟

ووافق الجميع على ذلك وانطلقوا في طريقهم إلى القلعة مرة أخرى، فلما وصلوا إليها داروا حولها لكي يصلوا إلى الباب الذي دخل منه سمير ورجاله مع طريف، فقد كان الباب الآخر مغلقاً. لأن ذا الرقبة المجروحة وزميله لم يغفلا عن إغلاقه حتى يعوقا من يفكر في مطاردتهما وتعقب آثارها. فلما وصلوا إلى ذلك الباب دخلوا منه وهم مطمئنون، وتوجهوا إلى الفناء فلما وصلوا إلى الصخور التي يقع فوقها مخبأ طريف أسرع يتسلقها، وسرعان ما عاد وبيده آلة التصوير

وقال: هذا هو ما جئتُ من أجله.

ودخل الجميع إلى القلعة وأخذوا يطوفون في أرجائها إذ لم يكن سمير رأى شيئاً فيها غير الغرفة السرية. فلما أتموا طوافهم أبدَتِ الفتيات رغبتهن فى رؤية مكان المعركة، فجذب سمير المقبض الحديدي فانفتح الباب السري، ونزل الجميع يشاهدون آثار معركة الليلة الماضية.

وتقدم سمير من الباب السري الذي يؤدى إلى الممر وأغلقه، ثم أغلق الفتحة السرية والأطفال في دهشة لما يفعله. ثم قال سمير: هيا بنا فقد آن وقت العودة

وصعد الجميع وتقدم سمير من المقبض الحديدي وجذبه فأغلق الباب السري. ودهش الأطفال حين رأوا سميراً ينتزع المقبض من مكانه ويضعه فى جيبه وهو يقول: وهذا المقبض الذي جئت أنا من أجله!

فسأله الأطفال في دهشة: وماذا تفعل بهذا المقبض؟

فقال سمير: إنني لا أحب أن يستخدمه أحد في فتح الباب السري مرة أخرى والنزول إلى الحجرة، فقد لا يستطيع أن يخرج مرة ثانية. وأهم من ذلك أننا لا نريد أن يصل أحد عن طريق الحجرة أو الممر السري إلى منطقة الأبحاث التي تحيطها الأسلاك الشائكة.

وسار الجميع في طريق العودة، وقال أسامة: يُخَيَّلُ إلى أن القلعة قد فقدت شيئاً من سحرها الآن!

فقالت أنسام: بل إنها صارت أحسن من ذي قبل بعد أن ذهب عنها هؤلاء الأشرار وانتفت عنها تلك الشائعات الخيالية المخيفة التي يروّجها القرويون.

وقال سمير: لقد انتهت تلك المغامرة الآن، وسأقدم لكل منكم هدية ثمينة جزاء لكم على مساعدتي في هذه المغامرة.

قال أسامة: إننا شاكرون لك هداياك، وشاكرون لك إنقاذك إيانا!

فقال طريف: لقد كنت على حق يا أسامة!! إنها قلعة المغامرات!

"تمت"